



٣١

التدريّن والملجون

في
شعر شوقي

عائض بن عبد الوكيل

النادي الأدبي - الرياض

www.alradadi.me ٤٠١

السنن والحدود

في
شعر شوقي

عائض بنيه الراددي

النادي الأدبي - الرياض

١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م

كتاب الشهر (٣١)

رجب ١٤٠١ هـ - مايو ١٩٨١ م

النادي الأدبي - الرياض

المملكة العربية السعودية ص.ب ٨٥٢١

هاتف ٤٧٦٦٦٣٠

مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ، وبعد :
حظي شوقي بكثير من الدراسات الأدبية ، ودارت
حول شعره المعارك النقدية في حياته ، وتناولته أقلام
الدارسين بعد وفاته ، وكان شأنه شأن غيره من المنقودين :
من مقرظ ، له عينه كليله عن كل عيب في شعره ، ومن
ساخط عليه مبرز لكل سيئة مهما صغرت وقد يضرب
صفحة عن الحسنة ، وثالث ممسك بميزان العدالة واضع
في كل كفة من كفتيه ماله .

ومن الموضوعات التي مستها أيدي الدارسين في
بحوثهم قضية التدين والمجنون في شعر شوقي — وإن
لم أرَ بحثاً مستقلاً في دراستها — فقد استوقف الموضوع
بعض دارسي شعر شوقي — وخاصة الإسلامي منه —
ووقف بعضهم مندهشاً أمام ظاهرتي المجنون والتدين
في ديوان شاعر واحد ، فالشاعر تارة يخلق بالنفس في
آفاق الروح ويقف بها في محارب الصالحين ، وتارة أخرى
يدعوها لانتهاب اللذة واغتنام الفرصة لكل متعه تلوح لها ،
وكلا الصنفين صحيح النسبة للشاعر ، وكلاهما يحمل نفس

الشاعر وشخصيته فلا يتطرق شك في أن أحدهما منحول عليه لا سيما والشاعر حديث عهد وبعض دارسي شعره من أصدقائه أو معاصريه ولم يشك أحد منهم في أن أحد اللونين ليس له .

وقبل أن أقرأ ما كتبه الدارسون قرأت « الشوقيات » قراءة متأنية مستخلصاً شعر كل ضرب من مصدريه الأول . وأخذت بالموضوعيه ونهجاً للمسلك العلمى درست شعر كل ظاهرة دراسة مستقلة كما تبدو من شعر الشاعر غير مبالغ في تفسير النصوص أو تحميلها مالا تحتل حتى إذا ما فرغت من دراسة هاتين الظاهرتين وهي دراسة أقرب ما تكون للعرض انتقلت إلى فصل مستقل في مناقشة الظاهرتين محددات تاريخ كل من المجنون والتدين في شعر الشاعر معرجاً على آراء الدارسين ، مناقشاً لها ، مبيناً ما بدا لي صحيحاً وما رأيت مبالغاً فيه ثم وصلت إلى نتيجة أثبتها في آخر هذا الفصل ، فيتضح من ذلك أن البحث مقسم إلى فصول ثلاثة :

الفصل الأول : التدين في شعر شوقي

الفصل الثاني : المجنون في شعر شوقي .

الفصل الثالث : مناقشات ونتيجة .

واقترنت الدراسة على شعر الشاعر مستبعداً نشره
وما قرأته عن سلوك الشاعر – وخاصة من أصدقائه
المقربين – من إشادة بتدينه أو تركيز على الجانب السلبي
من سهراته .

وأخيراً :

كان هذا البحث مكتوباً في عام ١٣٩٣ هـ وبقي منذ
ذلك الوقت محفوظاً على الرف حتى أذن الله بطباعته في نادي
الرياض الأدبي وآمل أن يجد فيه القارئ ما يفيدته والله الموفق .
عائض الراددي

المحتويات

الصفحة	اسم الموضوع
٥	مقدمة البحث
١٣	حياة شوقي وشاعريته
١٧	الفصل الأول - التدين في شعر شوقي
١٩	مواطن الإسلام في شعر شوقي
٢٠	مظاهر التدين في شعر شوقي :
٢٢	١ - إيمان شوقي بالله
٢٢	- وجود الخالق
٢٤	- توحيد الله
٢٦	- التضرع لله
٣٤	٢ - القرآن الكريم
٣٩	٣ - محمد عليه الصلاة والسلام
٤١	- حالة الدنيا حين أشرق النور
٤٤	- مولد الهادي
٤٧	- نزول الوحي
٤٨	- من معجزاته

الصفحة	اسم الموضوع
٥٠	— صفوة الباري
٥٢	— أخلاقه وصفاته
٥٨	— بلاغته
٦٠	— شفاعة الرسول (ص)
٦٥	— مات الحبيب
٦٦	٤ — إيمان شوقي بالأنبياء الآخرين
٦٩	٥ — العبادات
٦٩	— الصلاة
٧٣	— الزكاة
٧٧	— الحج
٨٤	٦ — الحياة الآخرة
٩٦	٧ — القضاء والقدر
١٠٢	٨ — سماحة الإسلام
١١١	٩ — حضارة الإسلام
١١٦	١٠ — التاريخ الإسلامي
١١٩	١١ — الشخصيات الإسلامية
١٢٦	١٢ — الأزهر الشريف
١٢٩	١٣ — الدفاع عن الإسلام
١٢٩	— دعوي انتشار الإسلام بالسيف
١٣٥	— الإسراء والمعراج

الصفحة	اسم الموضوع
١٣٨	— دعوي فشل الإسلام
١٤١	١٤ — دعوة المسلمين للنهوض
١٤٦	١٥ — الجامعة الإسلامية
١٥٠	١٦ — الخلافة الإسلامية
١٥٠	— أسباب تعلقه بالترك
١٥٦	— مظاهر عاطفته التركية الإسلامية
١٦١	— هدف عاطفته التركية
١٦٢	١٧ — وطنية شوقي الكبرى
١٧٠	١٨ — الأخلاق
١٨١	الفصل الثاني — المجون في شعر شوقي
١٨٣	١ — الغزل
٢٠١	٢ — الخمر والمراقص
٢١٣	الفصل الثالث — مناقشات ونتيجة
٢١٥	تاريخ المجون والتدين عند شوقي
٢١٥	أولاً — تاريخ المجون
٢١٧	ثانياً — تاريخ التدين
٢١٨	أيّ الجانبين أكثر ؟
	أول من أثار قضية المجون والتدين
٢١٨	(هيكل)

اسم الموضوع الصفحة

٢٢٣	...	...	...	صلة شوقي بالخديوي
٢٢٥	...	...	...	مناقشة دعوي هيكل
٢٢٨	...	...	...	دعوي طه حسين
٢٣٠	...	...	...	مناقشة الدعوي
٢٣٣	...	...	...	دعوي شوقي ضيف .
٢٣٦	...	...	...	مناقشة كلام ضيف
٢٣٧	...	...	...	دعوي أخرى لشوقي ضيف
٢٤٠	...	...	...	مناقشة الدعوي
٢٤٤	...	...	...	ولكن ما سرّ التردد ؟
٢٤٧	...	...	...	مناقشة كلام ماهر فهمي
٢٥٠	...	...	...	نتيجة البحث
٢٥٧	...	...	...	مراجع البحث

حياة شوقي وشاعريته

على أرض القاهرة ولد أحمد بن علي شوقي سنة ١٨٦٨ م (١٢٨٥ هـ) وينتمي شوقي لأسرة مختلفة الأصول والأعراق فهو «عربيّ ، تركيّ ، يونانيّ ، جركسيّ ، أصول أربعة ، في فرع مجمعة» (١) .

وفي السنة الثالثة من عمره دخلت به جدته يوماً على الخديوي إسماعيل ، فنظر إليه ووجد بصره مشدوداً إلى السماء ، فنثر الخديوي الذهب على الأرض أمام عينيّ الطفل ، فاسترخى بصر شوقي المشدود إلى السماء فجمع الذهب فعبث به ، فصاح إسماعيل هذا دواؤه !!

— فردت الجدة : أجل لكنّ هذا الدواء لا يخرج إلاّ من صيدلتك يا مولاي .

— أجل جيئي إليّ به متى شئت حتى أنثر الذهب تحت عينيه .

(١) عباس حسن في كتابه «المتنبى وشوقي» / ٣٧ ، نقلاً عن مقدمة الطبعة الأولى لديوانه ، مما كتبه الشاعر عن نفسه .

— وهكذا تنزل عينا شوقي من عليائها بذهب منشور.

وفي الرابعة من عمره دخل مكتب الشيخ صالح ،
فمدرسة المبتديان الابتدائية ، فالمدرسة التجهيزية (الثانوية) ،
وأنتهى منها في سن الخامسة عشرة ، ثم التحق بمدرسة
الحقوق ، سافر بعدها إلى فرنسا سنة ١٨٨٧ م ، فذرع
فرنسا طولاً وعرضاً ، وزار لندن والجزائر ، ومن ثم
عاد إلى القاهرة سنة ١٨٩١ م .

وفي هذه السنة توفي الخديوي توفيق ، وخلفه الخديوي
عبّاس ، الذي أعرض عن الشاعر أولاً ، ثم قرّبه وأصبح
شاعره وصاحب الخطوة عنده . ولما خلع عبّاس سنة
١٩١٥ م نفى الشاعر إلى الأندلس ، وبقي هناك إلى نهاية
الحرب العالمية الأولى ، وكانت عودته سنة ١٩٢٠ م ،
ولم تعد له أية صلة بالقصر ، وعاش يدير أملاكه .

واجتمعت وفود العربية بدار الأوبرا سنة ١٩٢٧ م
وبايعته بإمارة الشعر ، وأعلن حافظ إبراهيم الناطق الرسمي
باسم المجتمعين تلك البيعة بقوله :

أمير القوافي قد أتيت مبسّيحاً

وهذي وفود الشرق قد بايعتت معي

وبقي يحمل لواء الإمارة إلى أن وافته المنية سنة ١٩٣٢ م .
وتتشابك في تكوين شاعرية شوقي عناصر كثيرة ، منها
الجنسي ، ومنها الثقافي ، أما العناصر الجنسية فقد سبق
بيانها ^(١) ، ولم يكن شوقي يكثر بأصل أو فصل ؛ فهو
مسلم والإسلام حطّم فواصل الجنس واللون :

لا يقولنَّ امرؤُ أصلي فما
أصله مُسكٌ وأصل الناس طين ^(٢)

وقال في معرض كلامه عن الشريعة الإسلامية :

الله فوق الخلق فيها وحده
والناس تحت لوائها أكفاء ^(٣)

والمهم أن اجتماع تلك العناصر الجنسية في شوقي
كان له أثر كبير في شاعريته .

وأما العناصر الثقافية ، فإن شوقي حذق العربية
والفرنسية ، وتلقن التركية في منزله ، وأكبَّ على التراث
العربي وأخذ يلتهمه التهاماً وكان لاتصاله بأستاذه الأزهري

(١) أنظر ص ١٣ من هذا البحث .

(٢) الشوقيات ١/ ٢٥٥ .

(٣) الشوقيات ١/ ٣٨ .

محمد البسيوني ، ولكتاب الوسيلة للمرصفي ، أثرٌ كبيرٌ
في شاعريته ، أضف إلى ذلك عكوفه على النماذج العباسية ،
واستطاع أن يكونَ لنفسه أسلوباً لا يتحرّر من القديم ولكن
في الوقت نفسه يعبر عن الشاعر وعصره .

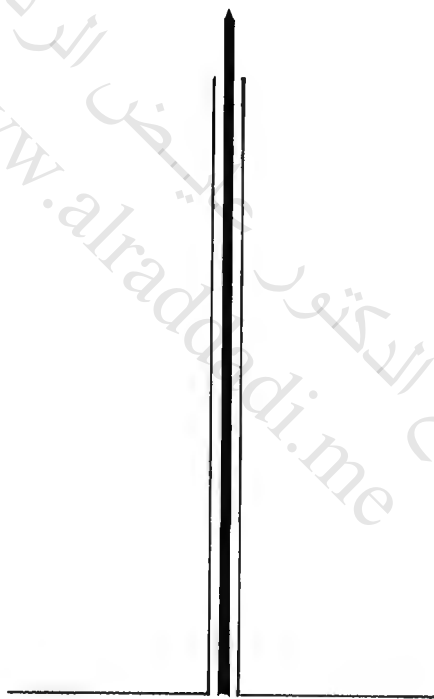
وحذقُ شوقي للفرنسيّة وتجوّاله في بلدان أوربيّة
وغير أوربيّة كان له أضخم الأثر وأعظمه في فنّ شوقي .

وبعد فليست حياة شوقي ومكوّنات شاعريته موضوعاً
للبحث ولكنها إلمامة موجزة لوضع أهمّ ما يتصل بشوقي
بين يدي القارئ^(١) فإلى موضوع البحث .

(١) من الكتب التي عدت مراجع لدراسة شوقي :

معجم المؤلفين ١/٢٤٦-٢٥٠ ، دراسات في الأدب العربي الحديث
ومدارسه د. عبد المنعم خفاجي ٦٢ ، شوقي شعره الإسلامي د. ماهر فهمي
٢٢٢/ ، تاريخ الشعر الحديث لأحمد قبح ٨٥/ وغيرها .

الفصل الأول



السَّيِّدِينَ فِي عَرْشِ سُوْفَى

مواطن الإسلام في شعر شوقي

لعلّ من المناسب قبل البداية بدراسة ناحية التدين في شعر شوقي أن نضع الأصابع على مواطن الشعر الإسلامي في ديوان شوقي ، فليس هناك باب في ديوانه يضم الشعر الإسلامي .

وإن النظرة السريعة لديوان شوقي تجعلنا نلتمس شعره الإسلامي في الجوانب التالية :

- ١ - مدائح الرسول عليه الصلاة والسلام .
- ٢ - تركيياته التي قالها في الخلافة الإسلامية ؛ لأنه كان ينظر للخلافة الإسلامية نظرة من يراها حاجزاً يقف في وجوه أعداء الإسلام ^(١) .
- ٣ - الرثاء ، ونجد حِكَمه الإسلامية في الموت من أصدق ما قال .

تلك هي المواطن التي يغلب وجود شعره الإسلامي فيها ، والقليل جداً من شعره الإسلامي الذي يخرج عنها .

(١) أنظر ص ١٥٠ من هذا البحث .

مظاهر التدين في شعر شوقي

أمّا مظاهر التدين في شعر شوقي فنستطيع تصنيفها
إلى ما يأتي :

- ١ - الإيمان بالله (وجود الخالق - وتوحيد الله -
والتضرّع إليه) .
- ٢ - القرآن الكريم .
- ٣ - محمد (صلى الله عليه وسلم) .
- ٤ - إيمان شوقي بالأنبياء الآخرين .
- ٥ - العبادات (الصلاة والزكاة ، والحج) .
- ٦ - الحياة الآخرة .
- ٧ - القضاء والقدر .
- ٨ - سماحة الإسلام .
- ٩ - حضارة الإسلام .
- ١٠ - التاريخ الإسلامي .
- ١١ - الشخصيات الإسلامية .

- ١٢- الأزهري الشريف .
- ١٣- الدفاع عن الإسلام (دعوي انتشار الإسلام
بالسيف والإسراء بالرسول عليه الصلاة
والسلام - ودعوى فشل الإسلام)
- ١٤- دعوة المسلمين للنهوض .
- ١٥- الجامعة الإسلامية .
- ١٦- الخلافة الإسلامية .
- ١٧- وطنية شوقي الكبرى .
- ١٨- الأخلاق .
- تلك هي أهم مظاهر التدين في شعر شوقي موجزه ؛
وفي الصفحات التالية عرض لها من خلال شعر الشاعر .

١ - إيمان شوقي بالله

يتمثل إيمان شوقي بالله - عز وجل - في الأمور الثلاثة التالية :

أ - وجود الخالق :

دان شوقي بأن في خلق السموات والأرض الدليل المقنع على وجود الله تعالى ، فلا حاجة إلى براهين العلماء والفقهاء ، وعلى مَنْ يشكُّ في وجود ربِّ العالمين أن يُلقِي نظرة في صنعه ؛ فإنَّ الصنعة تدلُّ على الصانع ، والأثر يدل على المؤثر :

تلك الطبيعة ؛ قِفْ بنا ياساري

حتى أريك بديعَ صنْعِ الباري (١)
الأرضُ حولك والسماءُ اهترَّتَا

لروائع الآيات والآثارِ

من كلِّ ناطقةٍ الجلال ، كأنَّها

أمُّ الكتابِ على لسان القاري

(١) الشوقيات ٣٦/٢ .

دَلَّتْ عَلَى مَلِكِ الْمُلُوكِ ، فَلَمْ تَدَعْ
لأَدَلَّةِ الْفُقَهَاءِ وَالْأَحْبَارِ
مَنْ شَكَّ فِيهِ فَنَظَرَةً فِي صُنْعِهِ
تَمْحُو أَثِيمَ الشَّكِّ وَالْإِنْكَارِ

إِنَّ الْمُتَّقِيَّ لِلَّهِ لَا يَجِدُ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنَ بِهِ ؛ لَمَّا يَرَاهُ مِنْ
صُنْعِهِ وَآيَاتِهِ الدَّالَّةِ عَلَيْهِ ، أَمَا الْجَاهِدُ فَيَلْتَمِسُ الْأَعْذَارَ
لِلْإِنْكَارِ ، قَالَ شَوْقِي عِنْدَمَا زَارَ قَسَمَ الْأَزْهَارِ وَالشُّمَارِ فِي
الْمَعْرُضِ بِبَارِيسَ سَنَةِ ١٩٠١ م :

رَزَقَ اللَّهُ أَهْلَ بَارِيسَ خَيْرًا
وَأَرَى الْعَقْلَ خَيْرَ مَا رَزَقُوهُ (١)
عِنْدَهُمُ لِلشُّمَارِ وَالزَّهْرِ مِمَّا
تُنْجِبُ الْأَرْضُ مَعْرُضٌ نَسْقُوهُ
صُورَةً كَمَا يَشَاءُونَ ، حَتَّى
عَجِبَ النَّاسُ : كَيْفَ لَمْ يُنْطِقُوهُ ؟
يَجِدِ الْمُتَّقِيَّ يَدَّ اللَّهِ فِيهِ
وَيَقُولُ الْجُحُودُ : قَدْ خَلَقُوهُ

(١) الشوقيات ٨١/٢ .

ب - توحيد الله :

وشوقي - وإن كان مسلماً بالوراثه - إلا أنه آمن بالإسلام عن اقتناع ؛ لأنّ التوحيد أساس العقيدة الإسلامية ولأنّ التوحيد دين الفطرة نادى به الفلاسفة منذ القدم :

بَلِّغْ يَا بَنِي عَبْدِ اللَّهِ قَامَتِ سَمْحَةٌ

بِالْحَقِّ مِنْ مِلَلِ الْهَدَى غُرَاءُ (١)

بُنِيَتْ عَلَى التَّوْحِيدِ ، وَهِيَ حَقِيقَةٌ

نَادَى بِهَا سُقْرَاطُ وَالْقَدَمَاءُ

ويحدّثنا شوقي عن الدين الإسلامي ، وكيف يدور جوهره حول التوحيد :

شريعةٌ لك فجرتَ العقولَ بها

عن زآخرٍ بصنوف العلم ملتطيمٍ (٢)

يلوحُ حولَ سنا التوحيدِ جوهرُها

كالخلى للسيّفِ أو كالوشيّ للعَلَمِ

ويحدّثنا أيضاً بأنّ الناس كانوا في شوق لمعرفة الحقيقة الزّهراء : حقيقة وجود الله وتوحيده ، قبل أن يبعث الله

(١) الشوقيات ٣٨/١ .

(٢) الشوقيات ٢٠٤/١ .

رسولاً وَيُتْرَلْ كِتَاباً ، فذهبوا مذهب شتى جمعتها
تلك الحقيقة :

ربّ، شقت العبادَ أزمانَ لا كُتِبَ

سبّ بها يُهْتَدَى ، ولا أنبياءُ^(١)

ذهبوا في الهوى مذاهب شتى

جمعتها الحقيقةُ الزهراءُ

ثم يقول :

ربّ ، هذي عقولنا في صباها

نالها الخوف ، واستبهاها الرجاءُ^(٢)

فعشِقْنَاكَ قبل أن تأتي الرأسَ

لُ ، وقامت بحبك الأعضاءُ

ووصلنا السرى ، فلولاً ظلام

الجهل لم يَخْطُنَا إليك اهتداءُ

واتَّخَذْنَا الأسماءَ شتىً ، فلما

جاء موسى انتهتْ لك الأسماءُ

إذن فشوقي يؤمن بأن لله التوحيد الخالص منذ القديم .

(١) الشوقيات ٢٥/١

(٢) الشوقيات ٢٧/١

ج - التضرع لله :

بدأ شوقي أول قصيدة في ديوانه (كبار الحوادث في وادي النيل) بوصف عام للسفينة والبحر والموج ، ثم مدَّ يده ضارعاً لله أن يكتب النجاة لركاب السفينة فهو الأنس لعباده :

ربُّ ، إن شئتَ فالفضاءُ مَضِيقٌ
وإذا شئتَ فالمضيقُ فضاءٌ (١)
فاجعلِ البحرَ عصمةً ، وابعثِ الرِّحْلَ
حُمةً فيها الرياحُ والأنواءُ
أنتَ أنسٌ لنا إذا بَعُدَ الأذُنُ
سُ ، وأنتَ الحياةُ والإحياءُ
يتولىَّ البحارَ - مهما ادلهمتْ -
منك في كلِّ جانبٍ لألاءُ
وإذا ما علَّتْ فذاك قِيامٌ
وإذا ما رَغَتْ فذاك دعاءُ
فإذا راعها جلالُك خَرَّتْ
هَيْبَةً ، فَهْنِيَّ والبساطُ سواءُ

(١) الشوقيات ١٧/١ .

والعريضُ الطويل منها كتابٌ
لك فيه نجيّةٌ وثناءٌ

وهو حين يضرع إلى الله في الشدّة يؤمن أن تفريج
الشدائد بيده ؛ لأنّ قدرته فوق أيّ قدرة كائنة ما كانت
قال في قصيدته « الله والعلم » بمناسبة تأجيل تتويج الملك
إدوارد السابع لإصابته بدممل سنة ١٩٠٢ م :

لك المللك يا مَنْ خصّ بالعزّ ذاته
ومَنْ فوق آراب الملوك مآربه^(١)
فلا عرش إلاّ أنت وارثُ عزّه
ولا تاج إلاّ أنت بالحقّ كاسبه
وآمنتُ بالعلم الذي أنت نوره
ومنك آياديه ، ومنك مناقبُه
توأمْنُ من خوفٍ به كلّ غالب
على أمره في الأرض ، والداءُ غالبه
فآمنتُ بالله الذي عزّ شأنه
وآمنتُ بالعلم الذي عزّ طالبُه

(١) الشوقيات ٨٣/١ و ٨٤ .

وَيُسَبِّحُ اللَّهَ مُصَدِّرَ الْعِلْمِ وَمُنِيعَ الْمَعْرِفَةِ فِي حِفْظِ أَقَامَةِ
نَادَى مَدْرَسَةِ الْمُعَلِّمِينَ الْعُلِيَّا :

سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ خَيْرَ مُعَلِّمٍ
عَلَّمْتَ بِالْقَلَمِ الْقُرُونِ الْأُولَى (١)

أَخْرَجْتَ هَذَا الْعَقْلَ مِنْ ظُلُمَاتِهِ
وَهَدَيْتَهُ النُّورَ الْمُبِينُ سَبِيلًا

وَيُظْهِرُ قَرَبُ شَوْقِي مِنَ اللَّهِ وَكَثْرَةُ تَسْبِيحِهِ لَهُ ،
وَخُشُوعُهُ لَهُ فِي هَاتَيْنِ الْمَقْطُوعَتَيْنِ :

رَبَّنَا يَا ذَا التَّجَلِّيِ وَالْجَلَالِ
يَا خَفِيَّ اللَّطْفِ يَا رَبَّ النُّوَالِ (٢)

هَبْ لَنَا الصَّالِحَ مِنْ عَمْرِ وَمَالٍ
رَبَّنَا وَالْطِفَ بِنَا فِي كُلِّ حَالٍ
رَبَّنَا ثَبِّتْ عَلَى الْحَقِّ الْقُلُوبَ
وَامْنَعِ الْأَسْوَءَ عَنَّا وَالْخَطُوبَ

(١) الشوقيات ١/١٨٠ .

(٢) شوقي شعره الإسلامي لماهر فهمي ، ٧٦ نقلا عن الشوقيات ط

١٩١١ / ١٠ .

رَبَّنَا اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الذُّنُوبَ
 واهدنا الحكمة في كل الفعـال
 رَبَّنَا اللَّهُمَّ أَصْلِحْ شَأْنَنَا
 وَأَقِمْ فِي نَفْعِنَا حُكَامَنَا
 رَبَّنَا وَاحْفَظْ بِنَا أَوْطَانَنَا
 واجعل الملة في أوج الكمال

* * * *

إِلَهِي قَدْ أَتَيْتُكَ قَبْلَ نَوْمِي
 مَقْرَأً بِالْإِسَاءَةِ طَوْلَ يَوْمِي (١)
 إِلَهِي إِنْ ظَلَمْتُ وَإِنْ كَذَبْتُ
 وَإِنْ يَوْمًا بِالسَّبَبِ غَضِبْتُ
 فَلِي يَا غَفُورَ إِلَيْكَ تَبَتُّ
 وَإِنَّكَ أَكْرَمُ الْمُتَجَاوِزِينَ

وَيَأْسَى عَلَى مَا اجْتَرَحَ مِنْ مَعَاصٍ فَيَحَاسِبُ نَفْسَهُ
 وَيُوجِّهُ إِلَى تَقْوَى اللَّهِ :

(١) شوقي شعره الإسلامي لماهر فهمي / ٧٧ نقلًا عن الشوقيات ط
 . ١٠/١ ٩١١

يا نفسُ ، دنياك تُخَفِّي كل مُبْكِيَّةٍ
 وإن بدا لك منها حُسْنٌ مُبْتَسَمٌ (١)
 فُضِّي بتقواكِ فاهاً كلما ضحكتِ
 كما يُفَضُّ أذى الرَقْشاءِ بالشرمِ

لقد اكتسي رأسه بثوب المشيب ونفسه لما نزل ترتع
 في خصيب المعاصي وتهيم في طلب اللذات فتوجه إليها قائلاً :

يا ويلتاه لنفسي ! راعها ودَهَا
 مُسَوَّدَةٌ الصُّحُفِ في مُبَيَّضَةِ اللَّسَمِ (٢)

رَكَضَتْهَا في مربع المعصيات ، وما
 أَخَذَتْ من حِمِيَّةِ الطاعاتِ للتُخَمِّمِ
 هامت على أَثَرِ اللذاتِ تطلبُهَا
 والنفسُ إن يَدْعُهَا داعي الصَّبَا تَهَمُ

ولكن رحمة الله واسعة ، والأمل فيها لا ينتهي :
 إنْ جَلَّ ذَنْبِي عن الغفران لي أَمَلٌ

في الله يجعلني في خير مُعْتَصِمٍ (٣)

(١) الشوقيات ١٩٣/١ . والرقشاء : الحية ، والثرم : كمر السن

(٢) الشوقيات ١٩٣/١ .

(٣) الشوقيات ١٩٤/١ .

إن شوقياً بشر يذنب فيسارع إلى ربه مُقراً بذنبه
راجياً غفرانه « وخير الخطائين التوابون » .

قَدَمْتُ بَيْنَ يَدَيَّ نَفْساً أَذْنَبْتُ

وَأَتَيْتُ بَيْنَ الْخَوْفِ وَالْإِقْرَارِ (١)

وجعلتُ أَسْتَرُ عَنْ سِوَاكَ ذُنُوبَهَا

حَتَّى عَصَيْتُ ، فَمَنْ لِي بِسِتَارِ !

وينوب شوقي عن المسلمين في التوسل إلى الله أن يقلبهم
من عثرتهم ؛ لأنه لا حصن ولا ملجأ لهم سوى ربهم (٢)

والعصر الحديث (عصر العلم) هو العصر الذي عاش
فيه شوقي ، ورأى الطائفة فقال سنة ١٩١٤ م :

جَلَّ شَأْنُ اللَّهِ هَادِي خَلْقِهِ

بُهِدَى الْعِلْمِ ، وَنُورِ الْعُلَمَاءِ (٣)

زَفَّ مِنْ آيَاتِهِ الْكُبْرَى لَنَا

طَلِبَةٌ طَالَ بِهَا عَهْدُ الرِّجَاءِ

(١) الشوقيات ٩٢/٤ .

(٢) سيأتي الكلام عن ذلك ص ١٤٤ من هذا البحث .

(٣) الشوقيات ٤/٢ .

لأنها آية من آيات الله الكبرى ، ولكنها قد تكون خيراً
وهو ما يرجوه شوقي ، وقد تكون شراً وهو ما يحذره ،
لذا يقول :

ربّ ، إن كانت لخير جُعِلَتْ

فاجعل الخير بناديهَا لزاماً ^(١)

وإن اعتزَّ بها الشرُّ غداً

فتعالَتْ تُمَطِّرُ الموتَ الزُّؤاماً

فاملاً الجوّ عليها رُجُماً

رحمةً منك ، وعدلاً ، وانتقاماً

أمّا وطنه مصر فيدعو الله أن يشدّها ، وأن يفتح
لها سُبُل الخير ، ويبارك خطواتها :

مصرُ الفتاةُ بلغتْ أشدّها

وأثبتَ الدمُّ الزّكيُّ رُشدَهَا ^(٢)

يا ربّ قوّ يَدَهَا وشُدّها

وافتَحْ لها السُّبُلَ ، ولا تسُدّها

(١) الشوقيات ٩٠/٢ .

(٢) الشوقيات ١٥٩/٢ ، ١٦٠ .

وهكذا نجد لشوقي ألحاناً خاشعة يضرع فيها إلى الله
لنفسه ولأُمَّته ولوطنه ، في توسل واستسلام وتعلق بأهداب
الدين ، فالله هو الربّ المعبود وغير ذلك عقلاً لا يجوز :

أَعْبُدِ اللَّهَ بِعَقْلِ يَا بُنَيَّ

وبقلب من رجاء الله حيّ (١)

ارْجُهُ تُعْطَ مَقَالِيدَ الْفَلَاحِ

واخْشَهُ خَشْيَةً مَنْ فِيهِ هَلَكُ

قُلْ لِمَنْ طَبَّبَ ، أَوْ مَنْ نَجَّمَ :

صَنَعَهُ اللَّهُ وَلَكِنْ زَغَمَا

آمِنَّا بِاللَّهِ إِيْمَانِ الْعَجُوزِ

إِنَّ غَيْرَ اللَّهِ عَقْلًا لَا يَجُوزُ

(١) الشوقيات ٢٨/٤ .

٢ - القرآن الكريم

شَرَّفَ الله بطحاء مكة المكرمة بأن جعلها أول مكان أنزل فيه وحية المبارك . يروح به ويغدو جبريل (عليه السلام) على خير البشر (صلى الله عليه وسلم) :

سائل حِراءَ ، وروح القدس : هل علما
مَتَّصُونَ سِرٌّ عن الإدراك مُنْكَتِمٍ ؟^(١)

كم جيئةٍ وذهابٍ شُرِّفَتْ بهما
بَطْحَاءُ مَكَّةِ فِي الْإِصْبَاحِ وَالْغَسَمِ

ووحشيةٍ لابن عبد الله بينهما
أشهى من الأنس بالأحباب والحشَمِ

يُسَامِرُ الوحيَ فيها قبل مهبطه
ومن يبشِّرُ بِسَيِّمِي الخير يتَّسِمِ

تلك آي الفرقان ، أنزلها الله ضياء ؛ لتخرج الناس

(١) الشوقيات ١/ ١٩٥ .

من الظلمات إلى النور ، ولتنسح ما بقي من بصيص النور
الباقى من الكتب السماوية السابقة :

تلك آي الفرقان ، أرسلها الله

— ضياءٌ يَهْدِي به من يشاء^(١)

نَسَخَتْ سُنَّةَ النَّبِيِّينَ وَالرَّ

سُلَ ، كَمَا يَنْسَخُ الضِّيَاءُ الضِّيَاءُ

نَسَخَتْ الكتبَ السابقة وبَقِيَ القرآن الكريم المعجزة
الحالدة ، لقد حسدوا الرسول (صلى الله عليه وسلم)
على ما أوتى من ربه وقديماً كان في الناس الحسد ، ثم
عُقِبَ هذا بأن الإسلام صَرَّحَ عَظِيمُ أساسه الحق :
يا أَيُّهَا الْأُمِّي ، حَسْبُكَ رَبَّةٌ

في العلم أن دانت بك العلماء^(٢)

الذِّكْرُ آيَةُ رَبِّكَ الْكَبِيرِ الَّتِي

فِيهَا لِبَاغِي الْمَعْجَزَاتِ غَنَاءٌ

نُسَخَتْ به التوراةُ وهي وضيئةٌ

وَتَخَلَّفَ الْإِنْجِيلُ وهو ذُكَاةٌ

(١) الشوقيات ٣٠/١ .

(٢) الشوقيات ٣٦/١ .

لَمَّا تَمَشَّى فِي الْحِجَازِ حَكِيمُهُ
فُضَّتْ عَكَظُ بِهِ ، وَقَامَ حِرَاءُ
أَزْرَى بِمَنْطِقِ أَهْلِهِ وَيِيَانِهِمْ
وَحْيٌ يُقْصَرُ دُونَهُ الْبُلْغَاءُ
حَسَدُوا فَقَالُوا : شَاعِرٌ ، أَوْ سَاحِرٌ
وَمِنَ الْحَسُودِ يَكُونُ الْاسْتِهْزَاءُ
قَدْ نَالَ بِالْهَادِي الْكَرِيمِ وَبِالْهُدَى
مَا لَمْ تَنْتَلِ مِنْ سَوْدَدِ سَيْنَاءَ
أَمْسَى كَأَنَّكَ مِنْ جَلَالِكَ أُمَّةٌ
وَكَأَنَّه مِنْ أَنْسِيهِ بَيْدَاءُ
يُوحَى إِلَيْكَ الْفَوْزُ فِي ظُلُمَاتِهِ
مُتَابِعاً ، تُجَلِّي بِهِ الظُّلُمَاءُ
دِينَ يُشِيدُ آيَةً فِي آيَةٍ
لِبَنَاتِهِ السُّورَاتُ وَالْأَضْوَاءُ
الْحَقُّ فِيهِ هُوَ الْأَسَاسُ ، وَكَيْفَ لَا
وَاللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ الْبِنَاءُ ؟

ولإذا كانت آيات الرُّسل السابقين موقوته ، نسخها
القرآن الكريم فإنَّ آية محمد (صلى الله عليه وسلم) صالحة
لكل زمان ومكان ، ولن تنصرم حتى يرث الله الأرض
ومنَّ عليها :

جاء النبيون بالآيات ، فانصرمت
وجئنا بحكيم غير منصرم (١)
آياته كلما طال المدى جُدُّدُ
يَزِينُهُمْ جلالُ العِثْقِ والقِدَمِ
وعلى الشَّبَاب أن يحتفظوا بما جباهم الله من عنده
من فضل :

فخذُوا العلم على أعلامه
واطلبوا الحكمة عند الحكماء (٢)

واقرأوا تاريخكم ، واحتفظوا
بفصيح جاءكم من فصحاء

أنزل الله على السِّنِّهِم
وحْيَهُ في عصر الوَحْيِ الوضاء

(١) الشوقيات ١٩٧/١ .

(٢) الشوقيات ٦/٢ .

ورحم الله حسين شيرين بك فقد كان يسهر ليلته
على مائدة القرآن الكريم :

أبدأ يراه الله في غلس الدجى

من صحن مسجده، وحول كتابه (١)

ورحم الله شوقي فقد تابع القرآن بشعر منذ نزوله ثم
تحدث عن نسخه للكتب السابقة ، وكيف جلا الظلمات
وصار دستوراً خالداً أبد الدهر ، ثم حث الشباب على
إدامة المحافظة عليه ، ومدح من تمسك به .

(١) الشوقيات ٣/ ٣٢ .

٣ ... محمد صلي الله عليه وسلم

تحتل المدائح النبويّة مكانة كبرى في الأدب العربي فلا يكاد يخلو منها عصر من عصور الأدب منذ أشرق نور الرسالة المحمديّة الشريفة ، ولا يتّسع المقام للإتيان عليها ولو بإيجاز^(١) ، إلاّ أنّي أودّ أن أنبّه إلى أن المديح النبوي الشريف في العصر الحاضر (عصر شوقي) اتخذ منهجاً مغايراً لمنهج السابقين ، فقد ترك الاهتمام بالصناعة البديعية التي أولاها الأقدمون جلّ اهتمامهم ، وراحت المدائح تبيّن مزايا الإسلام ، وتدفع شبه أعدائه ، وتدعو لوحدة المسلمين وما شابه ذلك ، ويظهر هذا جلياً في مدائح شوقي .

مدح شوقي الرسول (صلى الله عليه وسلم) بخمس قصائد ، وعرض له في قصائد أخرى والقصائد الخمس هي :

أ — نهج البردة : نظمها تذكراً لحج عباس الثاني سنة ١٣٢٧ هـ (١٩١٠) وأبياتها (١٩٠) بيتاً^(٢) .

(١) عرض لها بايجاز الدكتور أحمد الحوفي في « الإسلام في شعر شوقي / ٣٥ وما بعدها ، وشوقي شعره الإسلامي الماهر فهمي / ١٠٠ وما بعدها .
(٢) الشوقيات ١٩٠/١ .

ب - ذكرى المولد التي مطلعها :

به سحر يتيمه^(١) كلا جفنيك يعلمه^(١)
قالها سنة ١٩٢٨ هـ (١٩١١ م) وأبياتها (٩٩) بيتاً.

ج - ذكرى المولد التي مطلعها :

سلو قلبي غداة سلا وتابا
لعلّ على الجمال له عتابا^(٢)
نظمها سنة ١٣٣١ هـ (١٩١٤ م) ، وعدد أبياتها
(٧١) بيتاً .

د - الهزمية النبوية ، نظمها سنة ١٣٣٤ هـ (١٩١٧ م)
وأبياتها (١٣١) بيتاً^(٣) .

هـ - اختصّ الرسول في أرجوزته (دول العرب
وعظماء الإسلام) بثلاثة وخمسين ومائة بيت^(٤) .

(١) يوجد منها بالشوقيات ١٣٨/٢ أبيات الغزل فقط ، أنظر
عرضاً لها في « الإسلام في شعر شوقي / ٤٣ ، وتاريخ الشعر العربي الحديث
لأحمد قيش / ٨٠ .

(٢) الشوقيات ٦٨/١ .

(٣) الشوقيات ٣٤/١ .

(٤) دول العرب عظماء الإسلام / ٢٣ .

وعرض له في قصائد أخرى منها ، كبار الحوادث
في وادي النيل « ^(١) و « مرحباً بالهلال » ^(٢) و « وداع
الدكتور محبوب » في سفره للحجاز سنة ١٩١١م ^(٣) وفي
قصيدة حمل فيها على حاكم مكة ؛ لاضطهاده للحجاج
سنة ١٩٠٤ م ^(٤) .

ولا أبالغ إذا قلت : إن دراسة مدائح شوقي النبوية
تستحق أن تكون بحثاً مستقلاً ؛ لكثرتها وجودتها ،
وسأعرض بإيجاز لأهم النقاط فيها :

١ - حالة الدنيا حين أشرق النور :

كانت الدنيا يخيم عليها ليل دامس ، فالناس ضلوا
الطريق السوي ، وفستكت بهم الجهل ، عبدوا الأوثان
وصاروا أساري لها :

أظلم الشرق بعد قبصر والغمر

بُ ، وعمّ البرية الإدجاء ^(٥)

(١) الشوقيات ٢٩/١ .

(٢) الشوقيات ١٨٦/١ .

(٣) الشوقيات ٨٥/٢ .

(٤) الشوقيات ٢١١/١ .

(٥) الشوقيات ٢٩/١ .

فالورَى في ضلالة مُتَمَادٍ
 يفتك الجهلُ فيه والجهلاءُ
 وتولى على النفوس هوى الأوْ
 ثانٍ ، حتى انتهت له الأهواء
 وفي تلك الظلمات المطبقة ، والجهل المتفشي
 أشرق النور :
 أشرق النور في العوالم لَمَّا
 بشرتها بأحمدَ الأنبياءُ (١)
 باليتيم الأميِّ ، والبشرِ المو
 حى إليه العلومُ والأسماءُ
 قُوَّةُ الله إن تولَّتْ ضعيفاً
 تعبت في مِرَاسه الأقوياء
 أشرفُ المرسلين ، آيته النُّ
 طقُ مُبيناً ، وقومُه الفصحاءُ

(١) الشوقيات ١/٢٩، ٣٠.

لم يَقْهَ بالنوابغ الغُرَّ حَتَّى
سبق الخلق نحوه البلغاءُ

وَأَتَتْهُ العقول منقادةً اللُّ
بٌ ، وَلَبَّى الأَعوانُ والنصراءُ

جاء للناس ، والسرائرُ فوضى
لم يولِّف شتاتهنَّ لسواء

وَحِمِي الله مُسْتَبَاحٌ ، وَشَرَعُ اللّٰه
هـ ، وَالْحَقُّ ، وَالصَّبَابُ وراء

هكذا كانت حالة الدنيا حين بُعث محمد (صلى الله
عليه وسلم) ، فوضى عامة وأصنام تعبد من أصنام
مثلها لم تعمل عقولها ، شريعة الغاب سائدة يأكل القوي
فيها الضعيف ، ويسخر الحاكم المحكوم :

أَتَيْتَ وَالنَّاسُ فَوْضِي لَا تَمُرُّ بِهِمْ
إِلَّا عَلَى صَنَمٍ ، قَدْ هَامَ فِي صَنَمٍ (١)

وَالْأَرْضُ مَمْلُوءَةٌ جُورًا ، مُسَخَّرَةٌ
لِكُلِّ طَاغِيَةٍ فِي الْخَاطِقِ مُحْتَكَمٌ :

(١) الشوقيات ١/ ١٩٧ .

مُسَيِّطِرُ الْفُرُوسِ يَبْغِي فِي رَعِيَّتِهِ
 وَقِصْرُ الرُّومِ مِنْ كِبَرِ أَصَمِّ عَمِ
 يَعْذِبَانِ عِبَادَ اللَّهِ فِي شُبَّاهِ
 وَيَذْبَحَانِ كَمَا ضَحَّيْتَ بِالْغَنَمِ
 وَالْخَلْقُ يَنْقُتُكَ أَقْوَاهُمْ بِأُضْعَفِهِمْ
 كَاللَّيْثِ بِالْبَهْمِ ، أَوْ كَالْحَوْتِ بِالْبَلَسَمِ^(١)

٢ - مولد الهادي :

ودنيا تلك حالتها تحتاج إلى منقذ ، فيتجلّى مولد
 الهادي ، وتعمُّ بشائره الدنيا ، لقد وضعت بنت وهب
 منقذ العالم من الجور ، ومخرجه إلى العدل والسعادة :

تجلّى مولد الهادي ، وعمّت
 بشائره البوادي والقِصَبا^(٢)

وأسدّت للبريّة بنت وهب
 يداً بيضاء ، طوّقت الرقابا

وابتهجت الدنيا بمطلع النور ويصف شوقي بهجة العالم
 بهذا المولد فيقول :

(١) الهم : جمع بهمه : ولد الضأن . البلم : صناد السمك .

(٢) الشوقيات ٧١/١ .

وُلِدَ الْهَدْيُ فَالْكَائِنَاتُ ضِيَاءُ
 وَفَسَمُ الزَّمَانِ تَبَسُّمٌ وَثَنَاءٌ ^(١)
 الرُّوحُ وَالْمَلَأُ الْمَلَائِكُ حَوَّلَهُ
 لِلدِّينِ وَالْدُّنْيَا بِهِ بُشْرَاءُ
 وَالْعَرَشُ يَزْهُو ، وَالْحَظِيرَةُ تُزْدَهِي
 وَالْمُنْتَهَى ، وَالسُّدْرَةُ الْعَصْمَاءُ
 وَحَدِيقَةُ الْفَرْقَانِ ضَاكِكَةُ الرَّبِّ
 بِالترجمانِ ، شَدِيدَةٌ ، غَنَاءُ
 وَالْوَحْيُ يَقْطُرُ سَلْسَلًا مِنْ سَلْسَلٍ
 وَاللَّوْحُ وَالْقَلَمُ الْبَدِيعُ رُوءَاءُ

* * *

يَا خَيْرَ مَنْ جَاءَ الْوُجُودَ ، نَحِيَّةً
 مِنْ مُرْسَلِينَ إِلَى الْهَدْيِ بِكَ جَاءُوا
 بِكَ بَشْرُ اللَّهِ السَّمَاءَ فُزِيْنَتْ
 وَتَضَوَّعَتْ مَسْكَاً بِكَ الْغُيُورَاءُ

(١) الشوقيات ٣٤/١ .

يومٌ يَتِيهِ على الزَّمانِ صباحُهُ
ومساوهُ بِمَحْمَدٍ وَضَمَّاءُ
الحقُّ عالي الركنِ فيه ، مُظَفَّرٌ
في المَلِكِ ، لا يعلو عليه لواء
وصاحبت مولد الهادي خوارق ، منها تخطفُ بشائرِ
المولد مهجَ الظالمين ، وتصدعُ شرفات إيوان كسرى ،
وخمود نار المجوس :

سَرَتْ بِشَائِرُ بِالْهَادِي ومولده
في الشرق والغرب مَسْرَى النور في الظلِّمِ^(١)

تَخَطَّفَتْ مُهَجَ الطاغين من عربٍ
وطيرت أنفُسَ الباغين من عجمٍ
ريعت لها شُرفُ الإيوانِ فانصدعتْ
من صدمة الحقِّ ، لا من صدمة القُدُمِ

* * * *

ذُعِرَتْ عروشُ الظالمين ، فزُلْزِلَتْ
وعَلَتْ على تيجانهم أصداءُ^(٢)

(١) الشوقيات ١٩٧/١ .

(٢) الشوقيات ٣٥/١ .

والنارُ خاويةُ الجوانبِ حولهمُ
خمدتْ ذوائبُها ، وغاض الماءُ
والآي تَري ، والحوارقُ جمّةُ
(جبريلُ) رَوّاحٌ بها غَداءُ

٣ - نزول الوحي :

وبدأت إرهابات النبوة تظهر على محمد (صلى الله عليه وسلم) فكان يختلف إلى غار حراء ، يقضى ليله فيه وحيداً ، ولم يكن أحد يدرك سرّ ذلك فذلك سرّ مصون حتى عن حراء وجبريل :

سائلٌ حِراءَ ، وروح القدس : هل علّما
مّصونَ سرٍّ عن الإدراكِ مُنكّتمٍ ؟ (١)

كم جيئةٍ وذهابٍ شُرّفتَ بهما
بَطحاءُ مكة في الإصباحِ والغَسَمِ

ووَخْشَةٍ لابن عبد الله بينهما
أشهى من الأنس بالأحباب والحشَمِ

(١) الشوقيات ١٩٥/١ .

يُسَامِرُ الْوَحْيَ فِيهَا قَبْلَ مَهْبِطِهِ
وَمَنْ يُبَشِّرُ بِسَمِيِّ الْخَيْرِ يَتَّسِمِ

ثم ينزل الوحي « اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق
الإنسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم ، الذي علّم
بالقلم ، علّم الإنسان ما لم يعلم ^(١) » ، يقول شوقي :

ونودي : اقرأ ، تعالى الله قائلها
لم تتصل قبل مَنْ قِلتَ له بِفَسَمِ ^(٢)

هناك أذّنَ للرحمن ، فامتلاّت
أسماعُ مكّة من قدسيّة النّغم

٤ - مِنْ معجزاته :

من حكمة الله أن يؤيّد كل رسول بمعجزة من جنس
ما برع فيه قومه ؛ إظهاراً للحق وإثباتاً لعجزهم ، وليكون
الإيمان عن هدى واقتناع .

ولمّا كان العرب قد بلغوا في البيان شأواً بعيداً ،
وهم ملوك البيان وأرباب اللسن ، جعل الله معجزة الرسول

(١) سورة العلق : ١-٥ .

(٢) الشوقيات ١/١٩٦ .

الكبرى الخالدة من ذلك المورد ، فأنزل عليه القرآن الكريم ،
وقد تحدثنا عنه في شعر شوقي فيما سبق (١) .

يبد أن هناك معجزات أخرى للرسول الكريم منها
الإسراء والمعراج ، وسيأتي الحديث عنه عند الكلام عن
دفاع شوقي عن الإسلام (٢) .

ومنها رؤية « بَحِيرَا » له وهو تظليله الغمامة :

لَمَّا رآه «بَحِيرَا» قال : نعرفه

بما حفظنا من الأسماءِ والسِّيمِ (٣)

ومنها نَبْعُ الماء بين أصابعه الشريفة ، قال شوقي في
ذلك وفي تظليل الغمامة :

لَمَّا دَعَا الصَّحْبُ يَسْتَسْقُونََ مِنْ ظَمًا

فَاضَتْ يَدَاهُ مِنَ التَّسْنِيمِ بِالسَّيْمِ (٤)

وظَلَّلَتْهُ ، فَصَارَتْ تَسْتَظِلُ بِهِ

غَمَامَةً جَذَبَتْهَا خَيْرَةُ الدَّيْمِ

(١) أنظر ص ٣٤/ من هذا البحث .

(٢) أنظر ص ١٣٥/ من هذا البحث .

(٣) الشوقيات ١/ ١٩٥ .

(٤) الشوقيات ١/ ١٩٦ والتسليم : ماء بالجنة ، والسيم : الإناء

المملوء .

وحمايةُ الله له عند الهجرة معجزة من معجزاته :

سَلَّ عَصْبَةُ الشَّرِكِ حَوْلَ الْغَارِ سَائِمَةً

لولا مطاردةُ المختار لم تُسَمِّ (١)

هل أبصروا الأثرَ الوضَاءَ ، أم سمِعُوا

هَمْسَ السَّابِغِ وَالْقُرْآنَ مِنْ أُمَمٍ ؟

وهل تَمَثَّلَ نَسْجُ الْعَنْكَبُوتِ لَهُمْ

كَالْغَابِ ، وَالْحَائِمَاتُ الزُّغْبُ كَالرَّخَمِ ؟

فأدبروا ، ووجوهُ الأرض تلعنُهُمْ

كباطِلٍ مِنْ جَلالِ الْحَقِّ مِنْهَزِمٍ

لولا يدُ الله بِالْجَارَيْنِ مَا سَلِمَا

وَعَيْنُهُ حَوْلَ رَكْنِ الدِّينِ ؛ لَمْ يَقَمْ

تَوَارِيَا بِجَنَاحِ اللَّهِ ، وَاسْتَتَرَا

وَمَنْ يَتَضَمُّ جَنَاحُ اللَّهِ لَا يُضَمُّ

ه - صفوة الباري :

قال شوقي :

(١) الشوقيات ١/١٩٩ .

محمدٌ صفوةُ الباري ، ورحمته
 وبغيةُ الله من خلقٍ ومن نَسَبِهِ (١)
 وصاحبُ الخوض يومَ الرُّسل سائلةُ
 متى الورودُ؟ وجبريل الأمين ظمي
 سناؤه وسناهُ الشمسُ طالعةُ
 فالجِرمُ في فلكٍ ، والضوءُ في علكم
 إنه خير المرسلين وخاتمهم :
 يا خيرَ من جاء الوجودَ ، تحية
 من مُرسَلين إلى الهدى بك جاءُوا (٢)
 بيت النبَّين الذي لا يلتقي
 إلاّ الخائفُ فيه والحنفاءُ
 خير الأبوةِ حازهم لك «آدم»
 دون الأنام ، وأحرزتُ حواءُ
 هم أدركوا عزَّ النبوةِ وانتهت
 فيها إلباك العزةُ القعساءُ

(١) الشوقيات ١/١٩٥ .

(٢) الشوقيات ١/٣٤ .

٦ - أخلاقه وصفاته :

إنَّ محمدًا (صلى الله عليه وسلم) وهو صفوة الباري لا بُدَّ أن تكون أخلاقه أعلى أخلاق عرفتها البشرية ، وصفاته أنبل صفات رأتها ، وقد أشاد شوقي بصفاته وأخلاقه الكريمة ، فقال : إن علامات الفضل بدت عليه وهو فتى يتيم مع أن اليُتيم ينشأ عنه - في أغلب الأحيان - ضَعْفٌ في الأخلاق بسبب إهمال التربية ، إلاَّ أن يُتيمَ محمد (صلى الله عليه وسلم) كان خيرًا ، وذكر ما اشتهر به في صباه من صدق وأمانة ، وأخلاق عالية ، وما أوَّتي من شمائل يُغزى بهن الكرماء ، وما إلى ذلك مما ذكره بقوله :

نعم اليَتيمُ بَدَتْ مَخَائِلُ فَضْلِهِ
وَالْيُتِيمُ رِزْقٌ بَعْضُهُ وَذِكَاؤُ (١)

بِسَوَى الْأَمَانَةِ فِي الصَّبَا وَالصَّدَقِ لَمْ
يَعْرِفْنَهُ أَهْلُ الصَّدَقِ وَالْأَمْنَاءُ

يَا مَنْ لَهُ الْأَخْلَاقُ مَا تَهَوَّى الْعُلَا
مَنْهَا وَمَا يَتَعَشَّقُ الْكِبْرَاءُ

(١) الشوقيات ١/٣٥، ٣٦ .

لو لم تُقِيمْ دِيناً ؛ لقامتْ وحدَها
دِينا تُضيءُ بنوره الآتِساء

زانتك في الخلق العظيم شمائلُ
يُغفِرُ بهنَّ ويُسولِعُ الكرماءُ

أماً الجمالُ ؛ فأنت شمسُ سمائه
وملاحه (الصَّدِّيق) منك أبااء

والحسنُ من كرم الوجوه ، وخيرُه
ما أوتي القوادُ والزُعَماءُ

فإذا سَخَوْتَ بَلَغْتَ بالجود المَدَى
وفعلتَ ما لا تفعلُ الأنواءُ

وإذا عفوتَ فقادرٌ ومقدراً
لا يستهينُ بعفوك الجهلاءُ

وإذا رحمتَ فأنت أمٌ ، أو أبٌ
هذان في الدنيا هما الرُحَماءُ

وإذا غَضِبْتَ فإنما هي غَضَبُهُ
في الحقِّ ، لا ضِغْنٌ ولا بغضاءُ

وإذا رَضِيتَ فذاك في مرضاتِهِ
 ورضى الكثير تَحَلُّمٌ ورياءُ
 وإذا خطبتَ فللمنابر هِزَّةٌ
 تَعْرُو النَّدَى ، وللقلوب بكاءُ
 وإذا قضيتَ فلا ارتيابَ ، كأنما
 جاء الخصومَ من السماء قضاءُ
 وإذا حميتَ الماءَ لم يورَدُ ، ولو
 أنَّ القياصرَ والملوكَ ظِمَاءُ
 وإذا أجزتَ فأنتَ بيتُ الله ، لم
 يدخلْ عليه المستجيرَ عِداءُ
 وإذا ملكتَ النَّفْسَ قُمتَ ببرّها
 ولو أن ما ملكتَ يداك الشَّاءُ
 وإذا بنيتَ فخيرُ زوجٍ عِشْرَةٌ
 وإذا ابتنيتَ فدونك الآباءُ
 وإذا صَحِبتَ رأى الوفاءِ مُجَسِّمًا
 في بُرْدِكَ الأصحابُ والخلطاءُ

وإذا أخذتَ العهدَ ، أو أعطيتَه
 فجميعُ عهدِكَ ذِمَّةٌ ووفاء
 وإذا مشيتَ إلى العدا فغَضَضَفرُ
 وإذا جرَّيتَ فإنَّكَ النكباء
 وتمدُّ حِلْمَكَ للسفيهِ مُدارياً
 حتى يضيقَ بعرضك السفهاءُ
 في كلِّ نفْسٍ من سَطاكِ مَهَابَةٌ
 ولكلِّ نفسٍ في نَدَاكِ رَجَاءُ
 والرأيُ لم يُنْضَسِ المُهَنْدُودونه
 كالسيفِ لم تضرب به الآراءُ
 ثم عاد في القصيدة نفسها فأشاد بأخلاق الرسول الكريم،
 وشجاعته ورحمته :

الخليلُ تأتي غير أحمدَ حامياً
 وبها إذا ذُكِرَ اسمُه خِيَلَاءُ^(١)

شيخُ الفوارس يعلمون مكانه
 إن هيَّجَتْ آسَاده الهيجاءُ

(١) الشوقيات ٣٩/١ .

وإذا تصدَّى للظبي فمُهَنَّدُ
أو للرماح فصَعْدَةُ سَمَاءُ

وإذا رمَى عن قوسه فيمينُهُ
قَدَرٌ ، وما ترمي اليمينُ قضاءُ

من كل داعي الحقِّ هِمَّةٌ سيفه
فلسيفه في الرأسياتِ مضاءُ

ساقِي الجريح ، ومطعمُ الأسرى ومنْ
أَمِنَتْ سَنَابِلُكْ خيلِهِ الأَشْلَاءُ

إنَّ الشجاعة في الرجال غلاظةُ
ما لم تَزِنْهَا رَأْفَةٌ وَسَخَاءُ

وفي نهج البردة ينعى على الكافرين تكذيبهم للرسول
(صلى الله عليه وسلم) وهم الذين لَقَّبُوهُ في صغره
بالصديق الأمين ، فيقول :

يا جاهلين على الهادي ودعوتِهِ
هل تجهلون مكانَ الصديقِ العَلَمِ؟^(١)

(١) الشوقيات ١/١٩٧ .

لقبتموه أمين القوم في صِغَرٍ
 وما الأمينُ على قولٍ بمُتَّهَمٍ
 فاق البدورَ ، وفاق الأنبياءَ ، فكَمَّ
 بالخلقِ والخلقِ من حُسْنٍ ومن عِظَمٍ
 ثم يلمّ بطرف من صفات الرسول الكريم وأخلاقه ،
 فيقول :
 البدرُ دونك في حسنٍ وفي شرفٍ
 والبحرُ دونك في خيرٍ وفي كَرَمٍ (١)
 شَمُّ الجبال إذا طاولتها انخفضتْ
 والأنجُمُ الزُّهُرُ ما واسمَنتها تَسِيمُ
 والليثُ دونك بأساً عند وَثْبَتِهِ
 إذا مشيت إلى شاكي السلاح كَمِي
 تهفو إليك - وإن أدميت حبَّتْها
 في الحرب - أفئدةُ الأبطالِ والبُهَمِ (٢)
 محبَّةُ الله ألقاها ، وهيبَتُهُ
 على ابن أمنةٍ في كل مُصْطَلَمٍ

(١) الشوقيات ٢٠٠/١ .

(٢) البهم : الشجيمان .

كَانَ وَجْهَكَ تَحْتَ النَّقْعِ بَدْرٌ دُجِيٌّ
 يَضِيءُ مُلْتَثِمًا ، أَوْ غَيْرَ مُلْتَثِمِ
 بَدْرٌ تَطْلُعُ فِي بَدْرِ ، فَغُرَّتْهُ
 كَفْرَةُ النَّصْرِ ؛ تَجْلُو دَاجِي الظَّلَمِ
 ذَكَرْتَ بِالْيَتَمِ فِي الْقُرْآنِ تَكْرِمَةً
 وَقِيمَةً اللُّوْلُو المَكْنُونِ فِي الْيَتَمِ
 ٧ - بِلَاغَتُهُ :

إِنَّ مُحَمَّدًا (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بَعَثَ فِي قَوْمِ هَمْ
 مَلُوكِ الْبِلَاغَةِ وَالْبَيَانِ ، وَقَدْ سَبَقَ أَنْ قُلْنَا : إِنَّ مَعْجَزَتَهُ
 الْكُبْرَى الْخَالِدَةُ (الْقُرْآن) جَاءَتْ مِنْ جَنْسِ مَا بَرَعَ فِيهِ
 قَوْمُهُ ؛ فَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أَفْصَحَ
 النَّاطِقِينَ بِالضَّادِ ، كَمَا قَالَ شَوْقِي :

يَا أَفْصَحَ النَّاطِقِينَ الضَّادَ قَاطِبَةً
 حَدِيثُكَ الشَّهْدُ عِنْدَ الذَّائِقِ الْفَهْمِ (١)

حَلَّيْتَ مِنْ عَطَلٍ جَيِّدَ الْبَيَانِ بِهِ
 فِي كُلِّ مُنْتَشِرٍ فِي حَسَنِ مُنْتَظَمٍ

(١) الشوقيات ١/ ١٩٧ .

بكل قولٍ كريمٍ أنتَ قائله
 تحيي القلوب ، وتحيي ميّتَ الهيم
 إنّ حديثك الشريف صبغة الفرقان ، ونفحةٌ قدسية :
 أمّا حديثك في العقول فممشّرٌ
 والعلمُ والحكم الغوالي الماء (١)
 هو صبغةُ الفرقان ، نفحةٌ قدسيّة
 والسينُ من سوراته والراء
 جرّت الفصاحة من ينابيع النّهى
 من دوحه وتفجّر الإنشاء
 في بحرِه للسّابحين به على
 أدبِ الحياةِ وعلمِها إرساء
 أتت الدّهور على سُلافته ، ولم
 تفنّ السّلافُ ، ولا سلا النّدماءُ
 ولا عجب في ذلك ولا غرابة فانت ينبوع البيان ،
 وسبحان معلم البيان ؟

(١) الشوقيات ٣٧/١ .

سبحانَكَ اللَّهُمَّ خَيْرَ معلَم
 علمتَ بالقلم القرونَ الأولى (١)
 أرسلت بالتوراة موسى مُرشدًا
 وابن البتول فعلمَ الإنجيلا
 وفجرتَ يَسْنُوعَ البیان محمدًا
 فسقى الحديث ، وناول التنزيلا
 صناعة خير بالبيان ، عليم بأساليبه ، ويكفيه أنه
 جوامع الكلم :

حديثه حلاّه إسماعيلُ
 وبَلَلَهُ بريقه جبريلُ (٢)
 حِلْيَةُ من صاغَ الكلامَ وعَلِمَ
 وكيف لا وهو جوامع الكلمُ

٨ - شفاعة الرسول :

عندما يأتي ذكر الشفاعة تهيم روح شوقي ، ويصفو

(١) الشوقيات ١/ ١٨٠، ١٨١ .

(٢) دول العرب وعظماء الإسلام / ٢٤ .

بيانه ، وتتدفق أحاسيسه ، ولا يبتغي مهراً لحسنائاته سوى
شفاعة مَنْ له عِزُّ الشفاعة يوم القيامة :

يا مَنْ له عِزُّ الشفاعة وحده

وهو المترَّه ، ماله شُفْعاءُ^(١)

عرشُ القيامة أنت تحت لوائه

والخوض أنت حياله السَّقَاءُ

تروى وتسقى الصالحين ثوابهم

والصالحات ذخائرٌ وجزاء

أليمثل هذا ذُقتَ في الدنيا الطَّوَى

وانشَقَّ من خَلَقٍ عليك رداءُ ؟

لى في مديحك يا رسولُ عرائسُ

تُيَسِّمَنَ فيك ، وشاقهنَّ جَلَاءُ

هُنَّ الحسانُ ، فإن قبلت تَكْرَمَا

فمهورُهُنَّ شَفَاعَةُ حَسَنَاء

ما جئتُ بآبتك مادحاً بل داعياً

ومن المديح تضرَّع ودُعاء

(١) الشوقيات ٤١/١ .

وشوقي حين يطلب شفاعة الرسول يؤمن أن الرسول
(صلى الله عليه وسلم) مفرّج الكرب في الدنيا والآخرة
لأنّه أخرج الناس في الدنيا من ظلمة الغواية إلى نور الهداية ،
وهو صاحب الشفاعة العظمى في الآخرة :

ألقي رجائي إذا عَزَّ المجيرُ على
مُفرّجِ الكربِ في الدارين والغمَمِ^(١)

إذا خفضتُ جناحَ الدُّلِّ أسألُهُ
عِزَّ الشِّفاعَةِ ؛ لم أسأل سوى أَمَمٍ

وإن تقدّم ذو تقوى بصالحَةٍ
قدّمتُ بين يديه عِبرةَ النَّدَمِ

لزمْتُ بابَ أميرِ الأنبياء ، ومَن
يُمسِكُ بفتحِ بابِ الله يغتَنِمُ

علّقْتُ من مدحه حبلاً أعزُّ به
في يوم لا عِزَّ بالأنساب واللُّحَمِ

ومن الخير على الشاعر أن يكون سميّاً للرسول (صلى
الله عليه وسلم) .

(١) الشوقيات ١/١٩٤ .

يا أحمدَ الخير ، لي جاهٌ بتَسْمِيَّتِي

وكيف لا يتسامى بالرسول سَمِي ؟! (١)

ويرى شوقي أن مدح الرسول فوق قدره ، ويرى أنه
نال من العطاء بمدحه ما لم ينله من ممدوح آخر فيقول :

أبا الزاهراء ، قد جاوزت قدري

بمدحك ، بيد أن لي انتساباً (٢)

فما عَرَفَ البلاغة ذو بيانٍ

إذا لم يتخذك له كتاباً

مدحتُ المالكين فزدتُ قدراً

فحين مدحتك اقتدتُ السحابا

وهو يحسُّ بقوةً عليا تؤيده بعد مدحه الرسول (صلى

الله عليه وسلم) ، فَرَغَ يوماً من قصيدةٍ له في مدح الرسول

(صلى الله عليه وسلم) وشاء الله أن زاره الخديوى عباس

عباس في بيته فقال على الفور :

(١) الشوقيات ١/ ١٩٩ .

(٢) الشوقيات ١/ ٧١ .

يا ليلة القدر التي بُلغَتْها
 ما فيك بعد اليوم من مراتب^(١)
 ما كنتُ أهلاً للنوال وإئتمًا
 نفحات أحمد فوق كل حساب
 لما بلغتُ السؤل ليلة مدحه
 بعث الملوك يعظّمون جنابي
 ويقول مشيعاً صديقه الدكتور محبوب في سفره
 للحجاز :

محبوبُ ، إن جئت الحجاز
 وفي جوانحك الهوى له^(٢)
 قَبَّلْ ثراه وقُلْ له
 غنى وبالغ في مقاله:
 أنا يا ابن أحمد ، بعد مدد
 حي في أيبك بخير حاله

(١) أنظر أحمد شوقي لماهر فهمي / ٤٣ ، وحياة شوقي لأحمد محفوظ / ٨٥ . .

(٢) الشوقيات ٨٥/٢ . والمراد بابن أحمد الحسين بن علي حاكم الحجاز إذ ذاك . .

وقبض الرسول (صلى الله عليه وسلم) فذهل عمر
ابن الخطاب ذو العقل الراجح ، واستل سيفه مهدداً بقتل
من يقول بموته ، وحق لعمر أن يصيبه الدهول فقد مات
الرسول الحبيب ، خير الرسل كلهم :

وحدن بالراشد الفاروق عن رشد
في الموت ، وهو يقين غير منبهم^(١)

يجادل القوم مُستللاً مهنده
في أعظم الرسل قدراً ، كيف لم يدم؟

لا تعذله إذا طاف الدهول به
مات الحبيب فضل الصب عن رغم

* * * *

وبعد فمدائح شوقي النبوية من أقوى ما قال من الشعر
الديني ، يتجّه فيها بكل حبه للرسول (صلى الله عليه وسلم)
بعاطفة صادقة ، تناول فيها حياة الرسول من مولده إلى
وفاته ، ومدائح يخفق لها قلب العالم الإسلامي وتردد أبياتها
على ألسنة الكثيرين .

(١) الشوقيات ٢٠٧/١ .

٤ - إيمان شوقي بالأنبياء الآخرين

يوثمن شوقي بالأنبياء كلهم ، ويقدرتهم ، ويراهم
المثل الأعلى للإنسانية ، ويسميهم ملوك الحقيقة فيقول :

إنما الأرض والفضاء لربي
وملوك الحقيقة الأنبياء^(١)

لهم الحب خالصاً من رعايا
هم ، وكل الهوى لهم والولاء

إنما ينكر الديانات قوم^٢
هم بما ينكرونه أشقياء

لكن شوقياً يوثمن أيضاً بأن رسالة محمد (صلى الله
عليه وسلم) ، ناسخة لجميع الرسالات قبله فيقول :

تلك آي الفرقان ، أرسلها الله

به ضياء يهدي به من يشاء^(٢)

(١) الشوقيات ٢٨/١ .

(٢) الشوقيات ٣٠/١ .

نَسَخْتُ سُنَّةَ النَّبِيِّينَ وَالرُّسُلِ
كل ، كما ينسخُ الضياءُ الضياءُ

ويقول :

الذكر آية ربك الكبرى التي
فيها لباعي المعجزات غناء^(١)

نُسَخْتُ به التوراة وهي وضيئة^(٢)
وتخلف الإنجيل وهو ذكاء

وفيما يتعلق بالمسيح ردَّدَ إيمانه بما نصَّ عليه القرآن
الكريم فقال :

لو كنتُ أعتقدُ الصليبَ وخطبته
لأقمتُ من صلب المسيح دليلا^(٣)

* * *

وقال :

جَلَّ المسيحُ ، وذاق الصليبَ شائتهُ
إنَّ العقابَ بقدر الذنب والجُرْمِ^(٣)

(١) الشوقيات ٣٧/١ .

(٢) الشوقيات ١٨١/١ .

(٣) الشوقيات ٢٠٢/١ .

أخو النبي ، وروحُ الله في نَزولٍ
فوقَ السماء ودون العرش مُحْتَرَمٍ

وقد وردت أسماء كثير من الرسل في شعره ، لكن
أكثرها دوراناً فيه محمد وعيسي (١) وموسى (٢) ؛ لأن
دياناتهم هي الباقية ، ولأن النصارى واليهود قد أخذوا في
الاعتداء على الإسلام فتصدى لهم شوقي يدافع عنه .

-
- (١) أنظر الشوقيات ١ : ٢٨ ، ٧١ ، ٧٥ ، ٩٣ ، ١١٨ ، ١٤١ ، ١٧١ ،
١٨١ ، ٢١٥ ، ٢٣٤ ، ٧٢ ، ٦١ / ٢ وفي غير ذلك .
- (٢) أنظر الشوقيات ٢٧ / ١ ، ٧٥ ، ١١٧ ، ١٤١ ، ١٨١ ، ٢١٥ ،
١٠٥ ، ٧٢ ، ٦١ / ٢ وفي غير ذلك .

هـ - العبادات

ويدور شعر العبادات عند شوقي في النقاط التالية :

أ - الصلاة .

ب - الزكاة .

ج - الحج .

١ - الصلاة :

الصلاة الصادرة تنفي عن النفس قلقها وأوهامها ،
وتملأها سكينة ، وتعينها على شدة الزمان :

إنني دخلت ونفسي

حيرى الزمام حزينه^(١)

وقد تركت المصلي

وميل قلبي سكينه

(١) كيلوبترا / ٧٣ .

إنَّ الصَّلَاةَ عَلَى شِدَّةِ الزَّمَانِ مَعِينُهُ

كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يحجى الليل
بالصلاة حتى تورمت قدماه ، لا يقطعها إلاّ بدمع من
الإشفاق :

يَا رَبِّ ، صَلِّ وَسَلِّمْ مَا أُرِدْتَ عَلَى
نَزِيلِ عَرْشِكَ خَيْرِ الرُّسُلِ كُلِّهِمْ (١)

محبي الليالي صلاة ، لا يُقَطُّعُهَا
إلاّ بدمع من الإشفاقِ مُنْسَجِمِ

مُسَبِّحاً لَكَ جُنَحَ اللَّيْلِ ، مُحْتَمِلاً
ضُرّاً مِنَ السُّهْدِ ، أَوْ ضُرّاً مِنَ الْوَرَمِ

رَضِيَّةً نَفْسُهُ ، لَا تَشْتَكِي سَأماً
وما مع الحبّ إن أخلصت من سأمِ

ويقول للرحالة المصري أحمد حسنين بعد عودته من
رحلة شاقه في صحراء ليبيا :

(١) الشوقيات ٢٠٧/١ .

وהל مررت بأقوام كفطرتهم
من عهد آدام لا خُبْتُ ولا طَبَعُ؟^(١)

ومن عجيبٍ لغير الله ما سجدوا
على الفلا ، ولغير الله ما ركعوا

كيف اهتدى لهم الإسلام ، وانتقلت
إليهم الصلوات الخمس والجُمُعُ؟

ويقول وهو في منفاه عن ملوك الأندلس :

آها لنا نازحيّ أبكٍ بأندلسٍ
وإن حَلَلْنَا رِفْفاً من رَوَايِنَا !^(٢)

رَسْمٌ وقفنا على رسم الوفاء له
نجيش بالدَمْع ، والإجلال يشينا

لفتية لا تنال الأرض أدمعهم
ولا مفارقهم إلا مُصَلَّيْنَا

ويمرُّ بالمسجد الأموي في دمشق فيقول :

(١) الشوقيات ١٥٧/١ .

(٢) الشوقيات ١٠٤/٢ .

مررتُ بالمسجد المحزون أسأله
هل في المصلّي أو المحراب مروان؟^(١)

تغيرَ المسجدُ المحزونُ واختلفت
على المنابر أحرارٌ وعبدان
فلا الأذان أذانٌ في منارته
إذا تعالى ، ولا الآذان آذان

ويصف جند محمد الفاتح الذين اقتحم بهم القسطنطينية
بقوله :

قد جاءها الفاتحُ في عصبية
من الأسود الرُّكَّع ، السجد^(٢)

وحين ألقى نصارى الإرمين قذيفة على الخليفة سنة
١٩٠٥ هـ بقوله :

رمتهم بسهم الغدر عند صلاتهم
عصابةٌ شرٌ للصلاة عداة^(٣)

(١) الشوقيات ١٠١/٢ .

(٢) الشوقيات ٢٦/٢ .

(٣) الشوقيات ٩٣/١ .

يعادون ديناً ، لا يعادون دولة

لقد كذبت دعوى لهم وشكاة

وإذا رثي نَبَّه على أن المرثي كان محافظاً على الصلاة :

أبدأ يراه الله في غلس الدجى

من صَحْن مسجده ، وحول كتابه (١)

* * * *

و كنت تُصَلِّي بالملوك جماعة

و كنت تقوم الليل بالنفس خاليا (٢)

ب - الزكاة :

يجعل الإسلام للفقير في مال الغني حقاً معلوماً ،
يدفعه الغني إلى الفقير طاعة لله ، والإسلام يعتبر الزكاة ركناً
من أركانه ، وفرضاً على المسلم ، ليست مِنةً ، ولا
إتاوة ، وفي هذا يقول شوقي مخاطباً الرسول (صلى الله
عليه وسلم) :

والبرُّ عندك ذِمَّةٌ ، وفريضة

لا مِنةٌ ممنونةٌ وجبَاءُ (٣)

(١) الشوقيات ٣/٣٣ .

(٢) الشوقيات ٣/١٨٢ .

(٣) الشوقيات ١/٣٨ .

جاءت فوحدتِ الزكاةُ سبيلَه
حتى التقى الكرماءُ والبخلاءُ

وبالزكاة يكون البشر في حقّ الحياة سواء :

أنصفتَ أهل الفقر من أهل الغنى
فالكلُّ في حقّ الحياة سواءُ (١)

فلو ان إنساناً تخيّر مِلَّةً
ما اختار إلاّ دينك الفقراءُ

وتعجب شوقي من معشر يصلون ويصومون لكنّهم
إذا دعاهم داعي الزكاة صموا آذانهم ، وكأنّها ليست
ركنا من أركان الإسلام كالصلاة والصيام :

عجبت لمعشر صلّوا وصاموا
عواهرَ ، خشيةً وتقيّ كِذابا (٢)

وتلفيهم حيالَ المالِ صُمّا
إذا داعي الزكاة بهم أهابا

(١) الشوقيات ٣٩/١ .

(٢) الشوقيات ٧١،٧٠/١ .

لقد كنتموا نصيب الله منه
كان الله لم يحصر النصيبا

ومن يعدل بحب الله شيئاً
كحب المال ، ضلّ هوى وخابا

أراد الله بالفقراء برّاً
وبالأيتام حبّاً وارتبابا

وسوّى الله بينكم المنابا
ووسّدكم مع الرّسل الترابا

وأرسل عائلاً منكم يتيماً
دنا من ذي الجلال فكان قابا

نبي البر ، بيّنه سيلاً
وسنّ خلاله ، وهدى الشهابا

ومرّة أخرى في قصيدة أخرى يتّجه شوقي باللّوم
لما زعموا الزكاة ، وكأنهم قد قرأوا كتاب الله ووجدوا فيه
كل شيء إلا الزكاة لم يجدوها باباً من أبوابه :

أَمَنْ أَكَلَ الْيَتِيمَ لَهُ عِقَابٌ
 وَمَنْ أَكَلَ الْفَقِيرَ فَلَا عِقَابَ ؟ ^(١)
 أَصِيبَ مِنَ التَّجَارِ بِكُلِّ ضَارٍ
 أَشَدَّ مِنَ الزَّمَانِ عَلَيْهِ نَابَا
 يَكَادُ إِذَا غَذَاهُ ، أَوْ كَسَاهُ
 يَنَازِعُهُ الْحَشَاشَةُ وَالْإِهَابَا
 وَتَسْمَعُ رَحْمَةً فِي كُلِّ نَادٍ
 وَلَسْتَ تُحِسُّ لِلْبَرِّ انْتِدَابَا
 أَكَلٌ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَّا
 زَكَاةَ الْمَالِ لَيْسَتْ فِيهِ بَابَا ؟ !
 وَلَوْلَا الْبِرُّ لَمْ يُبْعَثْ رَسُولٌ
 وَلَمْ يَحْمِلْ إِلَى قَوْمٍ كِتَابَا
 وَأَخِيرَ أَفْهُو مِنَ الْمُؤْتِنِ الزَّكَاةُ :
 وَإِنِّي - وَلَا مَنَّ عَلَيْكَ بِطَاعَةِ -
 أَجَلٌ وَأَعْلَى فِي الْفُرُوضِ زَكَاتِي ^(٢)

(١) الشوقيات ٦٨، ٦٧/١ .

(٢) الشوقيات ٩٨/١ .

ج - الحج :

يدين شوقي بأنَّ الحجَّ ركن من أركان الإسلام ،
يظهر هذا بوضوح في قصيدته « ضجيج الحجيج » التي
رفعها سنة ١٩٠٤ م إلى السلطان عبد الحميد حين تعرّض
حاكمُ مكة المكرمة بشيء من الاضطهاد للحجاج إذ
يقول :

ضجَّ الحجاز وضجَّ البيتُ والحرمُ
واستصرخت ربهَا في مكة الأُمَمُ^(١)

قد مَسَّيْهَا في حماك الضرَّ ، فاقضِ لها
خليفةَ الله ، أنت السيد الحكيمُ

أهينَ فيها ضيوفُ الله ، واضطهدوا
إن أنت لم تنتقم فالله مُنتَقِم

الحجَّ ركن من الإسلام نُكْبِرُهُ
واليومَ يوشك هذا الركنُ يَسْنَهُدُ

من الشريف ومن أعوانه ، فعلتْ
نُعْمَى الزيادة ما لا تفعلُ النقم

(١) الشوقيات ٢١١/١ .

عَمَزَ السَّبِيلَ إِلَى طَه وَتَسَرَّبَتْ
فَمَنْ أَرَادَ سَبِيلًا فَالطَّرِيقُ دَمٌ

ويقول مشيعاً صديقه محبوب في سفره للحجاز :

محبوبُ ، إِنْ جِئْتُ « الْحَجَا
ز » ، وَفِي جَوَانِحِكَ الْهَوَى لَهُ (١)

شَوْقًا وَحُبًّا بِالرَّسْوِ
ل ، وَآلِهِ أَزْكَى سَلَالِهِ

وَعَلَى الْعَتِيقِ مَشِيتَ تَنْنَـ
ظَرُّ فِيهِ دَمْعُكَ وَانْهَمَالِهِ

وَمَضَى السُّرَى بِكَ حَيْثُ كَمَا
نَ الرُّوحُ يَسْرَى وَالرُّسَالَهُ

وَبَلَغْتَ بَيْتًا بِالْحَجَا
ز ، يُبَارِكُ الْبَارَى حَيَالَهُ

اللَّهُ فِيهِ جَلَا الْحَرَا
مَ خَلَقَهُ ، وَجَلَا حَلَالَهُ

(١) الشوقيات ٢/ ٨٤ .

فهنالك طِيبُ الروح طِـ
سبُّ العالمين من الجهالة

وهنالك أزكى مسجد
أزكى البرية قدمشى له

أماً قصيدة « إلى عرفات » فيبدأها بسرد لمناسك
الحج فيقول :

إلى عرفات الله يا خير زائرٍ
عليك سلامُ الله في عرفاتٍ (١)

ويوم تولى وجهة البيت ناضراً
وسيم مجالى البشر والقسماتِ

على كلِّ أفقٍ بالحجاز ملائكةُ
تزفُّ تحايا الله والبركات

لدى الباب جبريل الأمين ؛ برآحه
رسائلُ رحمانيةُ النفحات

(١) الشوقيات ٩٨/١ .

وفي الكعبة الغراء ركنٌ مُرَحَّبٌ
 بكعبتهِ قُصَادٍ ، وركنٍ عفاةٍ
 وما سكب الميزابُ ماءً ، وإنما
 أفاض عليك الأجر والرحماتِ
 وزَمَزَمٌ تجري بين عينيك أعيناً
 من الكوثر المعسول مُنفجرات
 ويرمون إبليس الرجيم ، فيصطلي
 وشائيلك نيراناً من الحمرات
 وينتقل إلى بيان حكمة الحج فيراها الوحدة والمساواة:
 لك الدينُ ياربُّ الحجيج ، جمعتهم
 لبيتٍ طهور السّاحِ والعَرَصاتِ
 أرى الناسَ أصنافاً ومن كل بقعةٍ
 إليك انتهوا من غربةٍ وشتات
 تساووا ، فلا الأنسابُ فيها تفاوتٌ
 لديك ، ولا الأقدارُ مختلفات

ثم يشرح عذره في تخلفه عن الحج :

ويا ربُّ ، لو سَخَرْتَ نَاقَةَ صَالِح
لَعَبَدَكَ ؛ ما كانت من السَّلَاسِاتِ

ويا ربُّ ، هل سَيَّارَةٌ أَوْ مَطَارَةٌ
فَيَدْنُو بِعِيدُ الْبَيْدِ وَالْفُلُواتِ ؟

ويا ربُّ ، هل تَغْنِي عن الْعَبْدِ حُجَّةٌ
وَفِي الْعَمْرِ مَا فِيهِ مِنَ الْهَفْواتِ

وَتَشْهَدُ مَا آذَيْتَ نَفْسًا ، وَلَمْ أَضِرْ
وَلَمْ أَبْغِ فِي جَهْرِي وَلَا خَطَرَاتِي

وَلَا غَلَبَنِي شِقْوَةٌ أَوْ سَعَادَةٌ
عَلَى حِكْمَةٍ آتَيْتَنِي وَأُنَاةً

وَلَا جَالَ إِلَّا الْخَيْرَ بَيْنَ سَرَائِرِي
لَدَى سُدَّةٍ خَيْرِيَّةٍ الرِّغْبَاتِ

وَلَا بَتُّ إِلَّا كَابِنَ مَرْيَمَ ، مُشْفَقًا
عَلَى حُسْنَدِي ، مُسْتَغْفِرًا لِعِدَاتِي

وإني - ولا مَنْ عليك بطاعة -

أجل ، وأغلى في الفروض زكاتي

وتخلف شوقي عن الحج - إذن - ليس إنكاراً له
بل عجزاً وكسلاً منه ، وهذه المعاذير لا تبرر تخلفه عنه ،
سيماً وأنه توفرت له وسائل الحج التي ذكرها قبل وفاته
سنة ١٩٣٢ م .

* * * *

ونختم الكلام على العبادات بما قاله في قصيدة يبكي
فيها الخلافة نشرت سنة ١٩٢٦ م :

مضت الخلافة ، والإمام فهل مضى

ما كان بين الله والعباد ؟^(١)

والله ما نسي الشهادة حاضر

في المسلمين ولا تردّد باد

خرجوا إلى الصلوات ، كل جماعة

تدعو لصاحبها على الأعواد

(١) العامل الديني في الشعر المصري الحديث / ٤٨٨ .

والصوم باقٍ ، والصلاة مقيمة
والحجّ ينشط في عنان الحادي

والفطر والأضحى كمادتيهما
يترديان بشاشة الأعياد

موقع الدكتور عايض الرادادي
www.alraddadi.me

٦ - الحياة الآخرة

يرى شوقي أنّ الدنيا رحلةٌ قصيرةٌ ، وقنطرةٌ إلى
إلى عالم أفضل ، حيث الراحة والخلود ، والنعيم القيم ،
وما أحوجنا إلى الابتعاد عن الطرق المؤدية للهلاك :

وكلُّ بساطٍ عيشٍ سوف يُطوى
وإن طال الزمانُ به وطابا (١)

أخا الدنيا ، أرى دنياك أفْعَى
تُبدّل كلّ آونةٍ إهابا

فمن يغترُّ بالدنيا فلإنّي
لبستُ بها فألبتُ الثيابا

لها ضحكُ القيانِ إلى غَـيٍّ
ولى ضحكُ الليبِ إذ تغابي

(١) الشوقيات ١/٦٨، ٦٩ .

جَنَيْتُ بِرَوْضِهَا وَرَدًّا وَشَوْكَاً
وَذَقْتُ بِكَأْسِهَا شُهْدَاءَ ، وَصَابَا

فَلَمْ أَرَ غَيْرَ حُكْمِ اللَّهِ حُكْمَا
وَلَمْ أَرَ دُونَ بَابِ اللَّهِ بَابَا

والحياة الدنيا سراب خداع ، كلُّ حيٍّ فيها غايته
الفناء ، يقول في رثاء يعقوب صروف سنة ١٩٢٨ :

سماؤك يا دنيا خِداعُ سرابٍ
وأرضك عُمرانٌ وشَيْلُكُ خرابٍ^(١)

وكلُّ أخِي عَيْشٌ وإن طال عَيْشُهُ
ترابٌ نَعْمَرُ الموتِ وابسن ترابٍ

وفي رثاء حسين شيرين بك يقول وذلك سنة ١٩٣١ م :

ساروا به من باطل الدنيا إلى
بُحْبُوحَةِ الْحَقِّ الْمُبِينِ وَغَابَهُ^(٢)

ومضوا به لسبيل آدم قبله
ومصاير الأقوام من أعقابهِ

(١) الشوقيات ٣/٢٩، ٣٢٠ .

(٢) الشوقيات ٣/٣٣ .

وفي رثاء محمد فريد بك يقول :

كلُّ حيٍّ على المنية غادي

تتوالى الركابُ والموتُ حادي^(١)

مَنْ دَنَا أو نَأَى فلنَّ المنايا

غايةُ القربِ أو قُصارى البعادِ

وفي الحقيقة أننا لا نستطيع أن نلمَّ بكل ما في شعر شوقي من حديث عن الموت ، فحديثه عن الموت طويل ، وحسبك أن تعلم أن الجزء الثالث من الشوقيات مراث ، ولكنَّ المتشَبَّع لمراثي شوقي يلمح فيه ظاهرة قتل أن تخلو منها مراثية من مراثية ، تلك الظاهرة هي كثرة سؤاله للأموات عن حقيقة الموت وعمَّا بعده من أمور لا يدركها الإنسان .

ولنضرب لذلك أمثلة :

في رثاء لرياض باشا يسأله : ما المنية ؟ وكيف مذاقها ؟ ومن السقاة ؟ ماذا يوجس منها الإنسان ؟ أى المصرعين أشدَّ ، على علم أم على غفلة ؟ :

(١) الشوقيات ٥٧٠٥٥/٣ .

رهينَ الرَّمسِ ، حدَّثني مَلِيًّا

حديثَ الموتِ تَبَدُّ لى العِظَاتُ (١)

هو الخبِرُ اليقينُ ، وما سِوَاهُ

أَحَادِيثُ المُسْنَى وَالسُّرَّهَاتُ

سَأَلْتُكَ : مَا الْمَنِيَّةُ ؟ أَيُّ كَأْسٍ ؟

وَكَيْفَ مَذَاقُهَا ؟ وَمَنْ السُّقَاةُ ؟

وَمَاذَا يُوجِسُ الْإِنْسَانُ مِنْهَا

إِذَا غَضَّتْ بَعْلَمُهَا اللَّهَاءُ ؟

وَأَيُّ الْمَصْرَعَيْنِ أَشَدُّ : مَوْتُ

عَلَى عِلْمٍ ، أَمْ الْمَوْتُ الْفُتَاتِ

وَهَلْ تَقْصَعُ النُّفُوسَ عَلَى أَمَانٍ

كَمَا وَقَعَتْ عَلَى الْحَرَمِ الْقَطَاةُ ؟

وَفِي رِثَاءِ عَلِيٍّ بَهَجَتْ يَسْأَلُهُ عَنِ الْمَوْتِ بَعْدَ أَنْ عَرَفَ

الْمَرُثِي تَجْرِبَةَ الْمَوْتِ :

(١) الشوقيات ٤٥/٣ .

نَشَدْتُكَ بِالْمَنِيَّةِ وَهِيَ حَقٌّ
 أَلَمْ يَلِكْ زُخْرُفُ الدُّنْيَا فَرِيًّا ؟ (١)
 عَرَفْتَ الْمَوْتَ مَعْنِيَّ بَعْدَ لَفْظِ
 تَكَلَّمْ ، وَاكْشِفِ الْمَعْنَى الْحَيَّيَّا
 أَتَاكَ مِنَ الْحَيَاةِ الْمَوْتُ فَانْظُرْ
 أَكُنْتَ تَمُوتُ لَوْ لَمْ تُلَفَّ حَيًّا ؟
 وَيَسْأَلُ وَالِدَهُ عَنْ كَأْسِ الْمَوْتِ أَجْرَعَةٌ هِيَ أَمْ جَرَعَتَانِ ؟
 يَا أَبِي وَالْمَوْتُ كَأْسٌ مَرَّةً
 لَا تَذُوقُ النَّفْسُ مِنْهَا مَرَّتَيْنِ (٢)
 كَيْفَ كَانَتْ سَاعَةٌ قَضَيْتَهَا
 كُلُّ شَيْءٍ قَبْلَهَا أَوْ بَعْدُ هَيْنَ ؟
 أَشَرِبْتَ الْمَوْتَ فِيهَا جَرَعَةً
 أَمْ شَرِبْتَ الْمَوْتَ فِيهَا جَرَعَتَيْنِ ؟
 إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا نَجِدُهُ فِي مَرَاثِيهِ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ .

(١) الشوقيات ١٨٦/٣ .

(٢) الشوقيات ١٥٥/٣ .

إنّ هؤلاء المرثيين قد أفضوا إلى ربّهم ، ولكن
هل نزولهم ورحيلهم باطل ؟ أم أنّ هناك بعثة وشئناً
آخر ؟ هل نحتقر الدنيا من أجل الآخرة أم ندّخر من
دنيانا لأخرانا ؟

هذا ما يحدثنا عنه شوقي قائلاً :

وجدتُ الحياةَ طريقَ الزّمَرِ
إلى بعثةٍ وشئونٍ آخرٍ ^(١)
وما باطلاً يستزلُّ النازلون
ولا عبثاً يزعمون السّفَرُ
فلا تَحْتَقِرْ عالماً أنت فيه
ولا تَجْهَدِ الآخِرَ المُنتَظَرُ
وخذْ لك زادين : من سيرةٍ
ومن عملٍ صالحٍ يُدّخرُ
وكن في الطريق عفيفَ الخطأ
شريف السّماعِ ، كريم النظر

(١) الشوقيات ٩١/٤ .

إذن شوقي يؤمن بالحياة الآخرة وما فيها من بعث
ونشور ، ولذلك شواهد في شعره كثيرة ، منها قوله في
وصف نكبة اليابان بزلزال :

دنتِ السَّاعَةُ الَّتِي أَنْذَرَ النَّاسُ
سُ ، وحلَّتْ أَشْرَاطُهَا وَالْعَلَامَةُ ^(١)

ويقول مخاطباً البحر الأبيض في صيف سنة ١٩٣١ :
أَنْتِ تَغْلِي إِلَى الْقِيَامَةِ كَالْقَدْرِ
رِ ، فَلَاحَظْ يَوْمَهَا لَكَ قِدْرًا ^(٢)

وفي رثائه لرياض باشا يقول بعد مسألته عن الموت :

وَهَلْ تَقَعُ النُّفُوسُ عَلَى أَمَانٍ
كَمَا وَقَعَتْ عَلَى الْحَرَمِ الْقَطَاةُ ؟ ^(٣)

وَتَسْخُلُ أُمُّ كَزَعْمِ الْقَوْلِ تَبْلِي
كَمَا تَبْلِي الْعِظَامُ أَوْ الرِّفَاتُ ؟

تعالى الله قابضُها إليه
وناعِشُها كما انتعش النبات

(١) الشوقيات ٨٥/٢ .

(٢) الشوقيات ٦٨/٤ .

(٣) الشوقيات ٤٥/٣ .

وجازيها النعيمَ حَيِّ أَمِيناً
وعيشاً لا تُكدره أذاةُ

* * * *

ويقول في مواضع أخرى :

إِنَّمَا الْمَوْتُ مُسْتَهْيٌ كُلَّ حَيٍّ^(١)
لَمْ يُصِبْ مَالِكٌ مِنَ الْمَلِكِ خُلْدًا^(٢)
وإلى الله ترجعُ النفسُ يوماً
صدق الله والنيِّبون وعدا

* * * *

طوانا الذي يطوي السموات في غد
وَيَنْشُرُ بعد الطيِّ وهو قدير^(٣)

* * *

وكلُّ نَفْسٍ في غدٍ
مِيتَةٌ فَمُنْشَرَةٌ^(٣)

* * * *

(١) الشراء الثلاثة / ٩٦.

(٢) الشوقيات ٨١/٣ .

(٣) الشوقيات ٨٩/٣ .

ضَرَبُوا الْقَبَابَ عَلَى الْيَبَابِ
وَوَثَوْا إِلَى يَوْمِ الْحِسَابِ^(١)

هَمَّادُوا، وَكَلَّ مُحَرَّكٌ
يَوْمًا سَيَسْكُنُ فِي التُّرَابِ

فَإِذَا صَحَّحُوا وَتَنَبَّهُوا
فَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالْمَلَأَبِ

وكما يسأل شوقي الأموات عن حقيقة الموت قد يطلب
من الميت أن يصف له نعيم الآخرة ، يقول مناجياً
ابن زيدون :

جُلْتُ فِي الْخُلْدِ جَوْلَةً
هَلْ عَنِ الْخُلْدِ مِنْ نَبَأٍ؟^(٢)

صَفِّ لَنَا مَا وَرَاءَهُ
مِنْ عَيُونٍ ، وَمِنْ رُبَّى

وَنَعِيمٍ وَنُضْرَةٍ
وِظْلَالٍ مِنْ الصَّبَا

(١) الشوقيات ٢٦/٣ .

(٢) الشوقيات ٧٩/٤ .

وصفِ الحور موجزاً
وإذا شئتَ مُطنِّباً

ويقول مخاطباً محمد عبد المطلب المتوفي سنة ١٩٣١ م:

قُمْ صِفِ الخُلْدَ لَنَا فِي مُلْكِهِ
من جلال الخلق ، والصنع العَجَبِ (١)

وثمارٍ في يواقيتِ السُّرْبَى
وسُلافٍ في أباريقِ السَّهَبِ

واستعزْ (رضوان) عُوْدِي قَصَبِ
وترنَّمْ بالقوافي في القَصَبِ

ومادام البعث حقيقة فإنَّ شوقياً بحثُ على العمل الصالح ،
فهو الذي ينفع صاحبه إذ ذاك :

لا ينفعُ الميئسَ سوى
صالحيةٍ مُدْخَرِهِ (٢)

قد تُرفع السُّوقَةُ عنـ
دَ اللهِ فوقَ القَيْصَرِهِ

(١) الشوقيات ٣٧/٣ .

(٢) الشوقيات ٨٨/٣ .

وكلُّ سَعْيٍ سَيَجْزِي اللَّهَ سَاعِيَهُ
هَيْهَاتَ يَذْهَبُ سَعْيُ الْمُحْسِنِينَ هَبَاً (١)

* * * *

أَيُّهَا الْعُمَّالُ ، أَفْنُوا الـ
عَمَرَ كَدّاً وَاكْتِسَاباً (٢)

إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ
اللَّهِ وَالنَّاسِ ثَوَاباً

أَتَقْنُوا بِحَبِيبِكُمُ اللَّهَ
— ، وَارْفَعْكُمُ جَنَاباً

أَمَّا الدُّنْيَا الَّتِي فَارَقَهَا الْمَرْءُ إِلَى الْآخِرَةِ فَيَسْتَطِيعُ أَنْ
يَحْيَاهَا بَعْدَ فَنَاءِ الْجَسَدِ بِالذِّكْرِ الْخَالِدَةِ أَوْ الْعَمَلِ الصَّالِحِ :

دَقَاتُ قَلْبِ الْمَرْءِ قَائِلَةٌ لَهُ :
إِنَّ الْحَيَاةَ دَقَائِقُ وَثَوَانِي (٣)

فَارْفَعْ لِنَفْسِكَ بَعْدَ مَوْتِكَ ذِكْرَهَا
فَالذِّكْرُ لِلْإِنْسَانِ عَمْرٌ ثَانِي

(١) الشوقيات ٧٨/١ .

(٢) الشوقيات ٩٠/١ .

(٣) الشوقيات ١٥٨/٣ .

لم يَمُتْ مَنْ لَهُ أَثَرٌ
وحياةٌ مِنْ السَّيْرِ (١)

« على أن شوقي في تسأله عن الموت ، وعن البعث ،
وعن الحياة الآخرة ، قصر حديثه عن الجنة والنعيم ، ولم
يستخير أحداً عن النار ، ولم يُشر إلى الجحيم ، ولا تعامل لذلك
إلا بأنه عظيم الأمل في عفو الله ، وفي رحمته بعباده ،
ولأنه يستخير بعض من رثاهم وأحبهم أحياء ، وتَمَنَّى
لهم الخير أمواتاً ، فليس من التوفيق أن يستنبئهم عن النار
التي يصطلي بها العصاة والضالون (٢) »

(١) الشوقيات ٩١/٣ .

(٢) أحمد الحوفي في « الإسلام في شعر شوقي » ٣٣/ .

٧ - القضاء والقدر

كان شوقي مؤمناً بقضاء الله وقدره ؛ لأن القضاء إذا وقع لا تنفع فيه حكمة أو روية ، يقول مخاطباً السلطان عبد الحميد عند سقوطه :

ماذا دهالك من الأمور
ر وكنت داهية الأمور ؟ (١)

أين الروية والأنس
ة ، وحكمة الشيخ الخبير ؟

إن القضاء إذا رمى
دك القواعد من (ثير)

ويقول مخاطباً مرفُص فهمي لَمَّا حُرِّم من الاشتغال
بالمحاماة ، ثم برّاه القضاء من تلك التهمة :

(١) الشوقيات ١/ ١٢٢ .

قل للمُبرِّأ مُرْقُصٍ :

أنت النقي من الطبع (١)

هذا القضاء رماك بالـ

سيمنى ، وباليُسرى نزع

هذا قضاء الله مُمنـ

شئل الحَكومة ، مُتَّبِع

ويقول على أثر ضرب الأسطول الإيطالي مدينة
بيروت :

ياربّ ، أملك في الممالك نافذ

والحكمُ حكمك في الدم المسفوك (٢)

إن شئت أهرقه ، وإن شئت أحمله

هو لم يكن لسواك بالملوك

ويعزّي أهل دمياط في عبد الحليم العلابي المتوفي سنة

١٩٣٢ م :

(١) الشوقيات ١٥٨/١ .

(٢) الشوقيات ١٦٢/١ .

بني دمياط ، ما شيء يباق
سوى الفرد الذي احتكر البقاء^(١)

تعالى الله لا يبقى سِـواهُ
إذا وردتْ بريته الفناء

وأنتم أهلُ إيمانٍ وتقوى
فهل تلقونَ بالعُتبِ القضاء ؟

وفي رثاء جدته يقول :

نُروِّعُ ما نروِّعُ ، ثم نُرْمى
بسَهْمٍ من يد المقدور آتي^(٢)

وفي رثاء إسماعيل صبرى جاء قوله :

واضحك من الأقدارِ غير معجزٍ
فاليوم لستَ لها من الأهداف^(٣)

وفي رثاء فوزي الغزي قال :

(١) الشوقيات ٢١/٣ .

(٢) الشوقيات ٣٨/٣ .

(٣) الشوقيات ١٠٩/٣ .

أشقى القضاء الأرض ، بعدك أسرة
لولا القضاء من السماء لَمَا شَقُّوا (١)

وفي « رسالة الناشئة » قال :

كلّ حالٍ صائرٌ يوماً لضدّ
فَدَعِ الأقدارَ تجري واستعدّ (٢)

فَمَلِكُ بالسَّعدِ والنَّحسِ يدورُ
لا تُعَارِضْ أبداً مجرى الأمورِ

قلْ إذا شئتَ : صُروفٌ وغيَرٌ
وإذا شئتَ : قَضَاءٌ وَقَدَرٌ !

ولكن هل يتّكل المرء على نصاريق القضاء والقدر ،
ويركن للكسل ؟ الجواب طبعاً : لا ؛ لأن الإسلام يأمر
بالعمل والجهد فإن جاء القدر بغير ما يعمل من أجله
فعليه أن يُسلم أمره لله ؛ لأن الخير فيما اختاره لعباده :
سبحان من لا عِزَّ إلا عِزُّهُ

يَبْقَى ولم يَلِكْ ملكه ليزولا (٣)

(١) الشوقيات ١١٢/٣ .

(٢) الشوقيات ٤١٠/٤ .

(٣) الشعراء الثلاثة / ١٨٧ ، ١٨٨ .

لا تستطيع النفس في ملكوته
 إلا رضا بقضائه وقبولاً
 الخير فيما اختاره لعباده
 لا يظلم الله العباد شيئاً
 وإذا أراد الله أمراً لم تجد
 لقضائه ردّاً ولا تبديلاً
 وعلى المسلم أن يظنَّ بالله الظنَّ الحسن ، يقول شوقي
 معزياً لإمام اليمن في ابن له :
 عزاءً جميلاً لإمام الحمي
 وهونٌ جليلٍ الرزايا يَهْنُ (١)
 وأنست المعُنانُ بإيمانه
 وظنُك في الله ظنٌ حسن
 ولكن متى رَقَّ قلبُ القضاء ؟
 ومن أين للموتِ عقْلٌ يَزِنُ ؟
 ومن هنا رأى إقدام بعض الشبان على جريمة الانتحار

(١) الشوقيات ١٦٩/٣ .

إسقاطاً لله وعدم رضا بقضائه وقدره ؛ لأن الصَّدْر
والوَرْد بإذنه ، يقول شوقي :

قاتلُ النفسِ - ولو كانت له -

أَسْخَطَ الله ، ولم يَرْضِ البشر (١)

ساحة العيش إلى الله الذي

جعل الوَرْدَ بإذنِ والصَّدْرَ

لا تموت النفس إلا باسمه

قام بالموت عليها وقهر

(١) الشوقيات ١/١٢٨ .

٨ - سماحة الإسلام

بحث الإسلام أتباعه على احترام الأديان الأخرى ،
كما يوجب على المسلم الإيمان بجميع الرسالات السماوية
السابقة وإن كانت منسوخة برسالة محمد (صلى الله عليه
وسلم) .

وقد نوّه شوقي بسماحة الإسلام ، فالمسلمون كلمًا
انتقلوا لأرض وفتحوها امتلات خيراً وعدلاً ، ومكنوا
المستضعفين فيها من نيل حقوقهم ، وحملوا لهم الدواء
الناجع لما في مجتمعاتهم من فساد ، ذلك الدواء هو نظام
الإسلام العادل :

أمّةٌ ينتهي البيان إليها
وتشولُ العلومُ والعلماءُ^(١)

كلّما ما حثّت الرّكّاب لأرض
جاور الرّشدُ أهلها والذكاءُ

(١) الشوقيات ٣٠/١ .

وعلا الحقُ بينهم ، وسما الفضُّ
سلُ ، ونالت حقوقَها الضعفاء

تحملُ النجمَ ، والوسيلة ، والميزِ
ـزانَ مِـنْ دينِها إلى مَن تشاء

وتنيلُ الوجودَ منه نظاماً
هو طبُّ الوجود ، وهو الدواء

يرجع الناسُ والعصور إلى ما
سَنَ ، والجاحدون ، والأعداء

فيه ما تشتهي العزائمُ إن هَبَ
مَّ ذُووها ويشتهي الأذكياء

فليمَن حَاول النعيمَ نعيمٌ
وليمَن آثر الشقاء شقاء

وسرعان ما فتحوها الدنيا وعمروها بالعدل والعلم
والتدوين :

لَمَّا اعتَلَّتْ دولةُ الإسلامِ واتسَعَتْ
مَشَتْ مَمالِكُه في نورها التَّممِ (١)

(١) الشوقيات ١/٢٠٤ .

كم شيد المصلحون العاملون بها
في الشرق والغرب ملكاً باذخ العِظم

للعِلم ، والعدل ، والتمدين ما عَزَمُوا
مَنْ الأُمُور ، وما شَدُّوا من الخِزْم

سرعان ما فتحوا الدنْيَا لِمِلَّتِهِمْ
وأَنهَلُوا النَّاسَ من سلسالها الشَّبِيبِ

ساروا عليها هداة الناس ، فَهَيَّ بِهِمْ
إلى الفلاح طريقٌ واضح العَظَم

والاسلام يكفل حرّية العقيدة ، ويحمي أرباب العقائد
المخالفين له الذين يقطنون في ممالكه :

إنما ينكر الديانات قومٌ
هم بما ينكرونه أشقياءُ (١)

وطالما دعا شوقي إلى التسامح الديني وحثّ عليه ،
فكل نفس لها أن تعتنق الدين الذي تهواه ، واختلاف
الأديان لا يصحّ أن يكون مدعاة للعداوة والتدابير ، وتسامح
النفس معنى من معاني المروءة :

(١) الشوقيات ٢٨/١ .

الدينُ للهٌ ، من شاء الإلَهَ هَدَى
 لكلِّ نفسٍ هَوَى في الدينِ داعيها ^(١)
 ما كان مُخْتَلِفُ الأديانِ داعيه
 إلى اختلاف البرايا ، أو تعاديها
 الكُتُبُ ، والرَّسُلُ ، والأديانِ قاطبةً
 خزائنُ الحكمة الكبرى لواعيها
 محبةُ الله أصلٌ في مراشِدها
 وخشيةُ الله أَسُّ في مبانيها
 وكلُّ خيرٍ يلقَى في أوامرها
 وكلُّ شرٍّ يوقَى في نواهيها
 تسامح النفس معنىً من مروءتها
 بل المروءةُ في أسمى معانيها

* * * *

ويقول :

الدينُ للدِّينِ جَلَّ جلالُه
 لو شاء ربُّكَ وَحَدَّ الأقواما ^(٢)

(١) الشوقيات ٢٨٩/١ .

(٢) الشوقيات ١٤٥/٣ .

و كما دعا شوقي إلى التسامح وحثَّ عليه أخذَ نفسه
به ، فقال :

خُلِقْتُ كَأَنِّي عَيْسَى ، حَرَامٌ
على قلبي الضَّغِينَةُ وَالشَّمَاتُ (١)

يُسَاءُ إِلَى أَحْيَانًا ، فَأَمْضَى
كَرِيمًا ، لَا أَقُوتُ كَمَا أَقَاتُ

ويُندد شوقي بالتعصب الديني في وصفه للقسطنطينية
سنة ١٩١٤ م :

أدار محمدٌ وتراثَ عَيْسَى
لقد رَضِيَاكُ بَيْنَهُمَا مِشَاعَا (٢)

فهل نَبَذَ التعصبَ فيكَ قومٌ
بِعدِ الجَهِلِ بَيْنَهُمُ النَزَاعَا ؟

ومولد عيسى كان يشير إلى عهد من السلام والتسامح :

وُلِدَ الرَّفْقُ يَوْمَ مَوْلِدِ عَيْسَى
والمروءاتُ ، والهُدَى ، والحَيَاءُ (٣)

(١) الشوقيات ٤٧/٣ .

(٢) الشوقيات ١٥٤/١ .

(٣) الشوقيات ٢٨/١ .

و كثيرأ ما دعا المسلمين والقبط في مصر إلى الوحدة ^(١) .
فإن اختلاف الدين لا يجوز أن يكون عامل فرقة وانقسام
وطريقأ لباب الشر :

لا تجعلوا الدينَ بابَ الشرِّ بينكمُ
ولا محلَّ مباحةٍ وإدلالٍ ^(٢)

ما الدينُ إلَّا تراثُ الناسِ قبلكمُ
كلُّ امرئٍ لأبيه تابعٌ تالي
ليس الغلوُّ أميناً في مشورته
مناهجُ الرُّشدِ قد تخفّي على الغالي
ويقول :

يا شبابَ الديار ، مصرُ إليكم
ولواءُ العرينِ للأشبال ^(٣)
وإلى الله منْ مشى بصليبٍ
في يديه ، ومن مشى بهلال

(١) أنظر في وحدة القبط والمسلمين : وطنية شوقي للحوفي / ٢٩٦ وما بعدها وشوقي شعره الإسلامي لماهر فهمي / ١٣١ .

(٢) الشوقيات ١٢٥/٣ .

(٣) الشوقيات ١٨٩/١ ، ١٩٠ .

ويقول في رثاء بطرس غالي سنة ١٩١٠ م :

أعهدتنا والقبط إلا أمّة

للأرض واحدّة تروم مراما ؟ (١)

نُعَلِي تعاليم المسيح لأجلهم

ويُوقَرُون لأجلنا الإسلام

« وليس لنا من مأخذ على شوقي إلاّ في قوله : إن المسلمين يعلنون تعاليم المسيح إكراماً للقبط ، لأنّ المسلمين يصدّقون بعيسى (عليه السلام) ويجلّون نسه ، طاعة لدينهم لامرؤسة للأقباط » (٢) يضاف إلى ذلك مجاملته الأقباط كثيراً والمبالغة في التسامح فليس سوياً من يأتي الله مسلماً ومن يأتيه بصليب ؟! ولا نرى هذه المجاملة عندما يتصدى لمسيحي أوروبا (٣) وقد ضرب شوقي المثل لسماحة المسلمين في فتوحاتهم بفتح مصر ، وما لقيه القبط على أيديهم من سماحة وعدل يذكرهما لهم التاريخ ، يقول في قصيدته « أيّها النيل » :

(١) الشوقيات ١٤٥/٣ .

(٢) أحمد الخوفي في وطنية شوقي / ٩٢٧ .

(٣) أنظر ص ١٣٠ من هذا البحث .

وودائع (الفاروق) عندك دينه
ولوأوه ، وبيأته ، والمنطلق^(١)

بعث الصحابة يحملون من الهدى
والحق^٢ ما يحى العقول ويفتق

بينون لله الكناية بالقنسا
والله من حول البناء مؤفّق

أحلاس خيل بيد أنّ حسامهم
في السلم من حذر الحوادث مقلّق

تطوى البلاد لهم ويسجد جيشهم
جيش^٣ من الأخلاق غاز مورك

في الحقّ سلّ وفيه أغمد سيفهم
سيف^٤ الكريم من الجهالة يفرّق

والفتح بغني لا يهون وقعه^٥
إلاّ العفيف حسامه ، المترفّق

(١) الشوقيات ٧٣/٢ .

وصدق شوقي حين قال :

إن الشجاعة في الرجال غلاظة

ما لم تزيّنْها رأفةٌ وسخاءُ^(١)

موقع الدكتور عايض الرادادي
www.alraddadi.me

(١) الشوقيات ٤٠/١ .

٩ - حضارة الإسلام

الشرعة الإسلامية شريعة الحضارة القائمة على أسس متينة من العدل والرحمة وحرية العقيدة ، ودعوة للعلم النافع والأخلاق ، وكل ما يسعد البشرية ، إلا أن الذين ينظرون لقشور حضارة أوربا الحالية دون أن يتعمقوا إلى لبابها يظلمون الشريعة الإسلامية ، ويرون أنها لا تصلح لهذا الزمان ، وتلك فرية - وربّي - حقّ لشوقي أن أن يردّها بقوله مخاطباً الرسول الكريم (صلى الله عليه عليه وسلم) :

ظلموا شريعتك التي نلناها

ما لم تنل في رومة الفقهاء^(١)

مشت الحضارة في سناها ، واهتدى

في الدين والدنيا بها السعداء

(١) الشوقيات ٤١/١ .

حقاً إنها حضارة للدين والدنيا ، لم تضارعها حضارة
من الحضارات الأخرى :

دَعُ عَسْكَ رُومَا ، وَآثِنَا ، وَمَا حَوَّنَا
كَلَّ الْيَوَاقِيتِ فِي بَغْدَادِ وَالتُّومِ (١)

وَحَلَّ كَسْرَى ، وَلِیَوَانَا يَدْلُ بِهِ
هُوَ عَلَى أَثَرِ النِّيرَانِ وَالْأُيُومِ (٢)
وَاتْرَكَ رَعْمَسِيسَ ، إِنَّ الْمَلِكَ مَظْهَرُهُ

فِي نَهْضَةِ الْعَدْلِ ، لَا فِي نَهْضَةِ الْهَرَمِ
دَارُ الشَّرَائِعِ رُومَا كَلِمًا ذُكِرَتْ
دَارُ السَّلَامِ لَهَا أَلْقَتْ يَدَ السَّلَامِ

مَا ضَارَعَتْهَا بَيَانَا عِنْدَ مُلْتَمَامِ
وَلَا حَكَمَتْهَا قَضَاءُ عِنْدَ مُخْتَصَمِ

وَلَا احْتَوَتْ فِي طَرَاذِ مِنْ قِيَاصِهَا
عَلَى رَشِيدٍ ، وَمَأْمُونٍ ، وَمُعْتَصِمِ

مَنْ الَّذِينَ إِذَا سَارَتْ كِتَابَتُهُمْ
تَصَرَّفُوا بِمَحْدُودِ الْأَرْضِ وَالتُّخَمِ

(١) الشوقيات ١/٢٠٦، ٢٠٥.

(٢) الأيْم : الدخان .

ويجلسونَ إلى علمٍ ومعرفةٍ
فلا يدانَوْنَ في عقلٍ ولا فهِمٍ

يُطَاطِئُ العلماءُ الهامَ إن نَبَسُوا

من هبة العلم ، لا من هبة الحُكْمِ

وَيُمَاطِرُونَ ، فما بالأرض من مَحَلٍّ

ولا بمن بات فوق الأرض من عُدْمٍ

خلائفُ الله جلُّوا عن موازنةٍ

فلا تقيسَنَّ أملاك الورى بهم

إن حضارة الإسلام — كما صوّرها شوقي — حضارةٌ
علم وتمدين وعدل وليست حضارة مادية ، حُكَّامها
علماء يُسَجِّلُونَ لتبحرهم في العلم والعرفان قبل أن يكونوا
حُكَّاماً ، والشعوب تبعاً لذلك على مكان من العلم ؛ لأن
الناس على دين ملوكهم ومن هنا كانت عهود الخلفاء العلماء
من أزهى العصور الإسلامية وكانت عهود الأميين منهم
عهوداً خالية من العلماء الأجلاء . ولم يكن العلم في حضارة
الإسلام محتكراً للرجال بل للنساء والرجال على حدٍّ سواء ،
وكذلك شئون الحياة الأخرى مما يذكره الشاعر في قوله :

هذا رسولُ الله ، لم
ينقص حقوقَ المؤمنين (١)

العلم كان شريعةً
لنسائه المتفةّهات

رُضْنَنَ التجارةَ والسياسة ،
والشئونَ الأخريات

ولقد علت بيناته
لحج العلوم الزاخرات

كانت سَكِينَةً تملأ الدنيا ،
وتَهْزَأُ بالسرّوةِ

روت الحديثَ وفَسَّرَت
آيَ الكتابِ البينات

وحضارةُ الإسلام تنبّه
طبقُ عن مكان المسلمين

(١) الشوقيات ١/١٠٣، ١٠٤.

بغدادُ دارُ العالمِ
تِ ، ومنزلُ المتأدِّباتِ
ودِمشقُ تحتِ أُمِّيَّةٍ
أمّ الجوّاري النابغاتِ
ورِياضِ أنسِ نَمِيٍّ
منَ المائفاتِ الشاعراتِ

www.alraddadi.me
موقع الدكتور عايض رادي

١٠ - التاريخ الإسلامي

التاريخ قاعدة انطلاق للشعوب ، والشعوب التي ليس لها ماضٍ مجيد تخلق لها أبطالاً خياليين ، وشوقي حين يتعرض في شعره للتاريخ يرمي إلى أن يتذكر المسلمون تاريخهم الماضي ليكون لهم قاعدة انطلاق في الحاضر وقد ضرب مثلاً للقوم الذين نسوا تاريخهم فقال :

مثلُ القومِ نَسُوا تاريخهم

كلقيطٍ عَيَّ في الناس انتساباً ^(١)

أو كغلوبٍ على ذاكرةٍ

يشكي من صلةِ الماضي انقضاباً

لذاحثَّ الشباب على قراءة تاريخهم ، فقال :

فخذُوا العلمَ على أعلامه

واطلبوا الحكمة عندَ الحكماء ^(٢)

(١) الشوقيات ١٩/٢ .

(٢) الشوقيات ٦/٢ .

وأقرأوا تاريخكم ، وأحتفظوا
 بفصيح جاءكم من فصحاء
 أنزل الله على السُّنَّه
 وحيه ، في أعصر الوحي الرضاء
 لهم إن لم يقرأوا تاريخهم فاتتهم الأسوة الحسنة :
 وإذا فالتك التفات إلى الما
 ضي فقد غاب عنك وجهُ النَّاسِي (١)
 وإذا حدث انتصار إسلامي معاصر ربطه شوقي
 بانتصار للمسلمين في الماضي :
 يوم " كبدِر " ، فخيّل الحق راقصة
 على الصَّعيد ، وخیل الله في السَّحْبِ (٢)
 نشوى من الظفر العالي ، مرَّحة
 من سكرة النصر ، لا من سكرة النَّصَب
 وأجّل أثمر يذكر لشوقي في مجال التاريخ الإسلامي
 ملحمة « دول العرب وعظماء الإسلام » ، وقد نظمها

(١) الشوقيات ٥٢/٢ .

(٢) الشوقيات ٦٢/١ ، ٦٣ .

أثناء إقامته بالأندلس منفياً عن بلاده ، وتقع في (١٠٩) صفحات ، بَعَثَهَا في نفسه ما رآه في الأندلس من ماضي المسلمين ، وما هم عليه الآن في الشرق من تخلف تركهم طعمة للطامعين المستعمرين ، إنَّ هذا الوضع دفع شوقي لأن يضع بين يدي المسلمين منظومة يعرض عليهم فيها ما استعظم من سير عظمائهم ، يقول في مقدمتها :

حتى أراد الله أن نَظَّمْتُ

من سير الرجال ما استعظمتُ ^(١)

عِلْماً بما تبعثُ في الأحداثِ
جلائل الأعمال والأحداثِ

إنَّ الصبيَّ ما تُغذِّيه اغتذى
فأكثرُ عليه في المثال المُحتذى

وقد تناول فيها تاريخ الإسلام من عهد النبوة حتى نهاية الدولة الفاطمية ، ولا يتسع المقام لاستعراضها ^(٢)

(١) دول العرب وعظماء الإسلام ٦ .

(٢) ممن تحدث عنها : الدكتور محمد خفاجي في كتاب ، دراسات في الأدب العربي الحديث ومدارسه « ٥٧ وما بعدها ، وماهر فهمي في كتاب « تطور الشعر العربي الحديث في مصر » ١٣٤/ وما بعدها ، وفي كتابه الآخر « شوقي شعره الإسلامي » ١٠/ و ٨٦، ١١ و ١٩٠، ١٥٢ - ١٩٤ ، حسن الصيرفي في كتاب « حافظ وشوقي » ٦٧/ ، وأحمد الحوفي في كتاب « الإسلام في شعر شوقي » ٧/ ، وعباس حسن في كتاب « المتنبي وشوقي » ٣٢٣/ .

١١ - الشخصيات الإسلامية

اختار شوقي من غير زعماء الإسلام - غير الرسول -
(صلى الله عليه وسلم) طائفة يعتز بها الإسلام من عهد
الراشدين حتى العصر الحاضر .

رقد وقف عند الخلفاء الراشدين وقفة اعتزاز وفخر ،
فقال في نهج البردة :

مَنْ فِي الْبَرِيَّةِ كَالْفَارُوقِ مَعْدَلَةٌ ؟

وكان عبد العزيز الخاشع الحشم^(١)

و كالإمام إذا ما فُضِّصَ مزدحمًا

بمدمع في مآقي القوم مزدحمـ

الزاهر العذب في علم وفي أدبـ

والناصر الندب في حرب وفي سلم؟

(١) الشوقيات ٢٠٦/١ .

أوكابن عَفَّانُ والقرآنُ في يده
يحنو عليه كما تَحْنُو على القُطْمِ

ويجمع الآيَ ترتيماً وينظمُها
عقداً بجيد الليالي غير منقسم ؟

جرحان في كبِدِ الإسلام ما التأما
جُرْحُ الشهيد ، وجُرْحُ الكتاب دمي

وما بلاءُ أبي بكرٍ بمتَّهم
بعد الجلائل في الأفعال والحِدم

بالحزم والعزم حاط الدينَ في محنٍ
أضلَّت الحلم من كهل ومحتلم

وإذا مدح الخليفة العثماني امتدَّ بصره إلى عهد الراشدين
الزائر فشبَّهه بهم لأنهم المثل الأعلى للحكومة الصالحة ،
يقول مادحاً للخليفة محمد رشاد الخامس :

جدَّتْ عهد (الراشدين) بسيرة
نَسَجَ (الرشادُ) لها على مِنواله (١)

(١) الشوقيات ١/١٦٩، ١٧٠.

بنيت على الشورى كصالح حكمهم
وعلى حياة الرأي واستقلاله

فكأنك الفاروق في كرسيه
نعمت شعوب الأرض تحت ظلاله

أو أنت مثل أبي تراب ، يُتقى
ويهابه الأملاك في أسماه

يقول ذلك ؛ لأنه يرجو للخلافة أن تعود إلى ما كانت
عليه في ذلك العهد :

عودي إلى ما كنت في فجر الهدى
عمرٌ بسوسك والعتيق يليك ^(١)

وإذا رثي شيخاً كبيراً يُقبل على قراءة الكتب في
شيخوخته شبهه بعثمان (رضي الله عنه) الذي استشهد
وكتاب الله بين يديه ، يقول في رثاء محمد تيمور :

وابن الذي علم الرجا
لُ حياءه من كل عاب ^(٢)

(١) الشوقيات ١/١٦٨ .

(٢) الشوقيات ٣/٢٧ .

وكانَّه في كُتُبِه
عثمانُ في ظل الكتاب

أمَّا أرجوزته (دول العرب وعظماء الإسلام) التي
نظمها في سير ما استعظمه من سير الرجال فقد أسهب
في الكلام عن الخلفاء الراشدين (رضي الله عنهم) (١).

ولا يترك شوقي بقية أصحاب محمد (صلى الله عليه
وسلم) دون إشادة بهم في شعره ، بل يلتفت إليهم أيضاً
ويمجِّد شجاعتهم وبسالتهم في مناصرة الرسول الكريم
(صلى الله عليه وسلم) ونشر الإسلام ، يقول في الهزلية
النبوية :

هل كان حول محمد من قومه
إلا صبيٌّ واحدٌ ونساءٌ ؟ (٢)

فدعا ، فلبى في القبائل عصابة
مُسْتَضْعَفُونَ ، قلائلٌ ، أنضاء

ردُّوا ببأس العزم عنه من الأذى
ما لا تردُّ الصخرة الصماء

(١) أنظر « دول العرب وعظماء الإسلام » / ٣٣-٦٠ .

(٢) الشوقيات ٤٠/١ .

والحقُ والإيمان إن صُبَّا على
برد ففيه كَتِيبَةٌ خرساءُ

نسفوا بناءَ الشُّركِ ، فهو خرائبُ
واستأصلوا الأصنامَ فهي هَبَاءُ

يمشون تغضي الأرضُ منهم هيبةً
وبهم حِيَالٌ نَعِيمٌها إغضاءُ

حتى إذا فُتِحَتْ لهم أطرافُها
لم يُطغِهم تَرَفٌ ولا نَعْماءُ

ويقول عنهم في نهج البردة (والخطاب للرسول الكريم
(صلى الله عليه وسلم) .

مهما دُعِيَ إلى الهيجاءِ قمتَ لها
ترمي بأسدٍ ، ويرمى الله بالرجمِ (١)

على لوائِكَ منهم كلُّ مُنتَقِمٍ
الله ، مُسْتَقْتَلٍ في الله ، مُعْتَزِمٍ

مُسَبِّحٍ للقاءِ الله ، مُضْطَرِمٍ
شوقاً ، على سابحٍ كالبرقِ مضطرمٍ

(١) الشوقيات ٢٠٣/١ .

بيضٌ ، مفايلٌ مَنْ فِعْلِ الحروب بهم
من أَسَيُفِ الله ، لا الهنديَّة الخدُم

كم في التراب إذا فتشت عن رجلٍ
من مات بالعهد ، أو من مات بالقَسَم

لولا مواهبٌ في بعض الأنام لما
تفاوتَ النَّاسُ في الأقدار والقيَم

وهم كما وصفهم القرآن « أشداء على الكفار رحماء
بينهم » :

تلك آي الفرقان ، أرساها الله
— ضياءٌ ، يهدي به مَنْ يشاء^(١)

نُسختَ سنة النَّبِيِّين والرُّسُل
— ، كما ينسخُ الضياءُ الضياءُ

وحماها غُرٌّ ، كرامٌ ، أشدًّا
ءُ على الخصم ، بينهم رُحَمَاءُ

ومن رجالات الإسلام الذين كثر ترددهم في شعر
شوقي — ولا يتسع المقام للحديث عنهم — من الصحابة :

(١) الشوقيات ٣٠/١ .

خالد بن الوليد ^(١) ، وعمرو بن العاص ^(٢) ، ومعاوية بن أبي سفيان ^(٣) ، ومن غير الصحابة : عبد الرحمن الداخل ^(٤) ، أبو جعفر المنصور ^(٥) ، صلاح الدين الأيوبي ^(٦) ، الخليفة العثماني ^(٧) ، محمد عبده ^(٨) ، مصطفى كامل ^(٩) ، وغيرهم .

-
- (١) أنظر دول العرب وعظماء الإسلام / ٥٣ ، ٦٩ .
(٢) أنظر الشوقيات ٣١/١ ، ١٣٩ ، ١٤١ ، ٧٢/٢ ، ودول العرب وعظماء الإسلام / ٦٢ .
(٣) أنظر (دول العرب وعظماء الإسلام) / ٦٠ .
(٤) أنظر (دول العرب وعظماء الإسلام) / ٧٨ والشوقيات ١٧١/٢ .
(٥) أنظر (دول العرب وعظماء الإسلام) / ٩٦ .
(٦) الشوقيات ٣١/١ ، ٧٥/٢ .
(٧) سيأتي الكلام عن الخلافة العثمانية في شعر شوقي .
(٨) الشوقيات ٤١/٣ .
(٩) الشوقيات ١٥٧/٣ .

١٢ - الأزهر الشريف

حظي الأزهر بإعجاب شوقي ؛ لأنه كان معهداً
لتخريج أكابر العلماء والمصلحين في العالم الإسلامي ،
فلقد مرت فترة طويلة من الزمن والعالم الإسلامي كله
تخيم عليه ظلمات لا يَرى فيها نور سوى شهاب الأزهر
اللامع ، يقول شوقي :

ظلماتٌ لا ترى في جُنحها

غير هذا الأزهر السَّمح شهاباً (١)

وبمناسبة إصلاح الأزهر الشريف سنة ١٩٢٤ م ،
حيّاه شوقي بقصيدة من عيون شعره وتحدث عن عظم أئمة
ومهابتهم ، وما أسداه الأزهر طوال القرون من حفظ
للدين ونشر للعلم في أنحاء العالم ، وهي قصيدة طويلة
نختار منها الأبيات التالية :

(١) الشوقيات ٢٠/٢ .

قمُ في فمِ الدّنيا وحيّ الأزهرِ
وانثرْ على سمع الزّمان الجوهرا (١)

واجعل مكان الدّر — إن فصلته
في مدحِه — خرز السماءِ النّيرا

واذكره بعد المسجدين ، مُعظّمًا
لمساجد الله الثلاثة مُكبرًا

واخضع ملكيًا ، واقضِ حقَّ أئمّةِ
طلعوا به زُهرًا ، وما جوا أبحرًا

كانوا أجلّ من الملوك جلاله
وأعزّ سلطانًا ، وأفخم مظهرًا

زمنُ المخاوف كان فيه جنابُهم
حرّم الأمانِ ، وكان ظلّهم الدّرا

من كل بحرٍ في الشريعة زاخرٍ
ويُريكَه الخلقُ العظيم غصنفرًا

(١) الشوقيات ١٥١/١ ، ١٥٢ .

يا معهداً أفنى القرون جداره
وطوى الليالي ركنه والأعصر

ومشى على يَبَسِ المشارقِ نورُه
وأضاء أبيضَ بُلجّها والأحمر

وأتي الزمان عليه يحمي سنّة
ويذود عن نُسكٍ ، ويمنع مَشْعِرا

عينٌ من الفرقان فاضَ نيرُها
وحياً من الفُصحى جرى وتحدّرا

إنّ الذي جعلَ العتيقَ مثابةً
جعل الكنانيّ المِبارك كوثرا

العلمُ فيه مناهلاً ومجانياً
يأتي له النّزاعُ يبغون القيرى

١٣ - الدفاع عن الإسلام

عاش شوقي في عصر حمل الكثير من الاتهامات للدين الإسلامي وقد دافع شوقي في شعره عما يمس الإسلام من شُبُهَة واتهامات رماه بها أعداؤه من مستشرقين وغيرهم؛ وستناول من دفاعه ما يأتي :

- أ - دعوى انتشار الإسلام بالسيف .
- ب - الإسراء بالرسول عليه الصلاة والسلام .
- ج - دعوى فشل الإسلام .

أ - دعوى انتشار الإسلام بالسيف :

يدفع شوقي هذه الفرية بأنها جهل ، وتضليل أحلام ، وسفسطة ، فالإسلام لم يستعمل السيف إلاّ بعد أن أعياه انحسار الشرّ ، ولم يمتشقّه إلاّ بعد الدعوة بالحسنى ، يقول في نهج البردة مخاطباً الرسول عليه الصلاة والسلام :

قالوا : غزوتَ ، ورسَلُ اللهُ ما بُعِثُوا

لقتل نفس ، ولا جاءوا لسفَلِيتِ دم^(١)

(١) الشوقيات ٢٠١/١ .

جهلٌ ، وتضليل أحلام ، وسفسطةٌ
فتحت بالسيف بعد الفتح بالقلم.

لما أتى لك عَفْوَ كُلِّ ذِي حَسَبٍ
تكفَّلَ السيف بالجهَّال والعمم
والشرُّ إن تَلَقَّه بالخير ضِيقَتْ به
ذَرَعاً ، وإن تَلَقَّه بالشرِّ يَنْحَسِم

ثم لجأ شوقي إلى التاريخ يستمد منه البرهان ،
فالمسيحية وهي دين السلام ودين هؤلاء الرّامين للإسلام
بهذه التّهمة (المستشرقين) كانت طريدة شريدة ، ولم
يستقرّ قرارها إلاّ حين استعملت السيف :

سَلَّ المسيحيّةُ الغرّاء كم شَرِبَتْ
بالصّاب من شهواتِ الظالم الغليم^(١)

طريدةُ الشُّرك ، يؤذيها ، ويؤسّعها
في كلِّ حينٍ قتالاً ساطعَ الحدّام

لولا حماةٌ لها هَبَّوا لنصرتِها
بالسيف ، ما انتفعت بالرفق والرّحم

(١) الشوقيات ٢٠١/١ .

وحروب المسلمين الأول لم تكن لشهوة الفتح واستغلال
خيرات الشعوب بل كانت لنشر مبدأ سامٍ ، هو العقيدة
السّمتحة ، ولإخراج الناس من جور الروم والفرس إلى
عدل الإسلام ، ولكن ما الحيلة إذا وقف أناس في وجه
الدعوة الإسلامية ، ولم يتركوا للشعوب حرية اتباع
العقيدة التي يريدونها ، إنه ذنب جليل ، وإذا جَلَّ الذّنب
جَلَّت عقوبته :

فرأى الله أن تُطَهَّر بالسَّيِّئِ ،
ف وأن تَغْسَلَ الخطايا الدماء^(١)

وكذلكَ النفوس وهي مراضٌ
بعضُ أعضائها لبعضٍ فداء

لم يُعَادِ الله العبيد ، ولكن
شَقِيَّتْ بِالْغِباوَةِ الأغبياء

وإذا جَلَّت الذنوب وهَالَت
فمنَ العدل أن يَهْوُل الجزاء

ويقول في الحمزية :

(١) الشوقيات ٢٩/١ .

الحربُ في حقِّ لَدَيْكَ شريعةٌ
ومن السمومِ الناقعاتِ دواءُ (١)

ويُلْقِي شوقي نظرةً على الدولِ المسيحيةِ المعاصرة ،
فيراها تعدّ ما استطاعت من قوّة للقضاء على الإسلام
والمسلمين :

أشباعُ عيسى أعدّوا كلَّ قاصمةٍ
ولم نُعدْ سوى حالاتٍ مُنْقَصَم (٢)

على أن حروب المسلمين ينظر إليها شوقي من زاوية
أخرى بأنّها لا تخرج عن كونها حروب دفاع عن العقيدة
وضرب للضلالة :

كم من غزاةٍ للرسولِ كريمةٍ
فيها رِضىٌ للحقِّ أو إعلاءُ (٣)

كانت لجند الله فيها شِدَّةٌ
في إثرها للعالمين رِخاء
ضربوا الضلالةَ ضربةً ذهبتُ بها

فَعَلَى الجِهالةِ والضلالِ عَفاءُ

(١) الشوقيات ٣٨/١ .

(٢) الشوقيات ٢٠٢/١ .

(٣) الشوقيات ٤٠/١ .

دَعَمُوا عَلَى الْحَرْبِ السَّلَامَ ، وَطَالَمَا
حَقَّقْتَ دِمَاءً فِي الزَّمَانِ دِمَاءً

ويقول في دول العرب وعظماء الإسلام عن الرسول
(صلى الله عليه وسلم) .

وكانت الدَّعْوَةُ بِالْكِتَابِ
وَحِجَّةَ اللَّهِ عَلَى الْمُرْتَابِ (١)

وَصَبَّرَ الدَّاعِيَ عَلَى الْبِذَاءِ
وَمَا يُبْلَاقِيهِ مِنَ الْإِيذَاءِ

فما مقالُ الجاهلِ المُفْضِدِ
تأسَّسَ الإسلامُ بِالْمُهَنْدِ ؟

كلُّ غِزَاةٍ لِلنَّبِيِّ حَقُّهُ
لَمْ يَعْنُدْ فِي حَرْبِ قُرَيْشٍ حَقُّهُ

ليس سواءَ كُلُّهَا الْعَوَانُ
لَا يَسْتَوِي الدِّفَاعُ وَالْعِدْوَانُ

فكانت الحربُ لِدَفْعِ الْحَيْفِ
قَدْ تَوَخَّذَ السَّلْمُ بِحَدِّ السِّيفِ

(١) دول العرب وعظماء الإسلام / ٢٧ ، ٢٩ .

أَمَّا معاملة المسلمين في الحرب فيصفها شوقي بقوله :

الخيْلُ تَأْيِي غَيْرَ أَحْمَدَ حَامِيًا
وبها إذا ذُكِرَ اسمه خِيْلَاءُ^(١)

ساقِي الجَرِيحِ ، وَمُطْطَعُ الْأَسْرَى وَمَنْ
أَمِنَتْ سَتَابِلَتْ خَيْلُهُ الْأَسْلَاءُ

إِنَّ الشَّجَاعَةَ فِي الرِّجَالِ غَلَاظَةٌ
مَا لَمْ تَزْنِهَا رَافَةٌ وَسَخَاءُ
وَبَعْدُ :

هَكَذَا الْمُسْلِمُونَ ، وَالْعَرَبُ الْخَا
لُونَ ، لَا مَا يَقُولُهُ الْأَعْدَاءُ^(٢)

فَبِهِمْ فِي الزَّمَانِ نِلْنَا اللَّيَالِي
وَبِهِمْ فِي الْوَرَى لَنَا أَنْبَاءُ
لَيْسَ لِلذِّلِّ حِيلَةٌ فِي نَفُوسٍ
يَسْتَوِي الْمَوْتُ عِنْدَهَا وَالْبَقَاءُ

* * * *

(١) الشوقيات ٤٠، ٣٩/١ .

(٢) الشوقيات ٣٢/١ .

ب - الإسراء والمعراج :

وتثار الشُّبُهَة حول الإسراء والمعراج بالروح أم
بالجسد ، فيدلى شوقي برأيه ، ويتبعه بالدليل ، فيقول :

يا أيها المُسْرَى به شرفاً إلى

ما لا تنالُ الشَّمْسُ والجُوزاءُ^(١)

يتساءلون - وأنت أظهُرُ هيكَل -

: بالروح أم بالهيكَل الإسراءُ ؟

بِهِمَا سَمَوْتَ مَطْهَرَيْنِ ، كلاهما

نورٌ ، وريحانيَّةٌ ، وبَهَاءُ

فضلٌ عَلَيَّكَ لذي الجلال وَمِنَّةٌ

والله يفعل ما يرى ويشاءُ

تَغْشَى الغُيُوبَ من العوالم ، كلِّما

طُوِيَتْ سماءُ قُلْدَتِكَ سماء

في كل منطقةٍ حواشي نورها

نونٌ ، وأنت النقطةُ الزهراء

(١) الشوقيات ٣٩/١ .

أنت الجمالُ بها ، وأنت المُجْتَلَى
والكفُّ ، والمرأة ، والحسنةُ

الله هَيَّأَ من حظيرة قُدْسِهِ
نُزُلًا لِدَانِكَ لم يَجْزُهُ عِلاءُ

العرشُ تَحْتَلَ سُدَّةٌ وَقِوَانِمًا
ومناكبُ الرّوحِ الأَمِينِ وطاءُ

والرّسُلُ دون العرشِ لم يُؤْذَنَ لَهُمْ
حاشا لغيرك موعِدٌ ولقاءُ

ولا مجال للشك والاثام ففقدرة الله ومشيتته فوق
أي شك :

أسرى بك الله ليلًا ، إذ ملائكته
والرّسُلُ في المسجد الأقصى على قدمٍ^(١)

لَمَّا خَطَرَتْ بِهِ التّفَوَّاهُ بِسَيِّدِهِمْ
كَالشَّهْبِ بِالْبَدْرِ ، أَوْ كَالْجُنْدِ بِالْعِلْمِ

(١) الشوقيات ١٩٨/١ .

صَلَّيْ وِرَاءَكَ مِنْهُمْ كُلُّ ذِي خَطَرٍ
وَمَنْ يَنْفُزْ بِحَبِيبِ اللَّهِ يَأْتِمِمْ

جُبَّتِ السَّمَوَاتُ أَوْ مَا فَوْقَهُنَّ ۖ
عَلَى مَنْوَرَةٍ دُرِّيَّةٍ اللَّجُجُ

رَكُوبَةٍ لَكَ مِنْ عِزٍّ وَمِنْ شَرَفٍ
لَا فِي الْجِيَادِ ، وَلَا فِي الْأَيْتُقِ الرُّسُومِ

مَشِيئَةُ الْخَالِقِ الْبَارِي ، وَصَنَعَتُهُ
وَقُدْرَةُ اللَّهِ فَوْقَ الشَّلَكِ وَالتَّهَمِ

حَتَّى بَلَغْتَ سَمَاءَ لَا يُطَارُ لَهَا
عَلَى جَنَاحٍ ، وَلَا يُسْعَى عَلَى قَدَمِ

وَقِيلَ : كُلُّ نَبِيٍّ عِنْدَ رُتْبَتِهِ
وَيَا مُحَمَّدُ ، هَذَا الْعَرْشُ فَاسْتَمِمْ

خَطَّطْتَ لِلدِّينِ وَالْدُنْيَا عُلُومَهُمَا
يَا قَارِيءَ اللُّوحِ ، بَلْ يَلَامَسُ الْقَلَمُ

* * * *

ج - دعوي فشل الإسلام :

رأى شوقي تحامل المبشرين والمستشرقين وغيرهم على الإسلام ، واتهامه بأنه دينٌ فاشل لا يصلح للشعوب في هذا العصر ، وحجتهم في ذلك ما يريزح تحته مسلمو اليوم من جهل وهوان على العالم ، فيردُّ بأنَّ الإسلامَ غيرُ الرجال الذين يعتنقونه ، وما ذنبُ الإسلام من جهل المسلم المنتسب إليه ، ويكتسفتُ للمسلمين منبهاً لهم إلى ما جرَّه كسلهم على دينهم ، فيقول :

أَمَّـمَ الْهَلَالِ ، مقالةٌ من صادق
والصدقُ أليق بالرجال مقالا (١)

مِنْ عَادَةِ الْإِسْلَامِ يَرْفَعُ عَامِلًا
وَيَسْوَدُّ الْمِقْدَامَ وَالْفِعْـلَا

ظَلَمَتَهُ أَلْسِنَةُ تَوَاحِذِهِ بِكُمْ
وَزَلَمَتُوهُ مُفَرِّطِينَ ، كُسَالَى

هَذَا هَلَالُكُمْ تَكْفُلُ بِالْهُدَى
هَلْ تَعْلَمُونَ مَعَ الْهَلَالِ ضَلَالًا ؟

(١) الشوقيات ١٨٧/١ .

سَرَتِ الحضارةُ حِقْبَةً في ضوئه
ومَشَى الزَّمانُ بنوره مختللاً

وليس صحيحاً أن الإسلام غير صالح لهذا العصر ،
فالشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان :

شريعةٌ لك فجرتَ العقولَ بها
عن زاخر بصنوف العلم ملتطم^(١)

غراءُ ، حامتْ عليها أنفسٌ ، ونُهِى
ومن يجدُ سلسلاً من حكمة يتحمُّ

نورُ السبيل يُسأسُ العالمونَ بها
تكفَّلتْ بشبابِ الدهرِ والمهرَمِ

يجري الزَّمانُ وأحكامُ الزَّمانِ على
حكمِ لها ، نافذٍ في الخلق ، مُرْتَسِمِ

والقرآن الكريم دستورُ الإسلام دستورُ خالد إلى أن
يرث الله الأرض ومن عليها ، وقد حفظه الله من التغير
والتبديل :

(١) الشوقيات ٢٠٤/١ .

جاء النَّبِيُّونَ بِالْآيَاتِ ، فَانصَرَمَتْ

وَجِئْنَا بِحُكْمٍ غَيْرِ مُنْصَرَمٍ (١)

آيَاتِهِ كُلَّمَا طَالَ الْمَدَى جُدَّدُ

يَزَيِّنُهُنَّ جَلالُ الْعِثْقِ وَالْقَيْدِ

يَتَكَادِ فِي لَفْظَةٍ مِنْهُ مَشْرِفَةٌ

يُوصِيكَ بِالْحَقِّ ، وَالتَّقْوَى ، وَبِالرَّحْمِ

وَلَيْسَ قَلَّ الْأَعْدَاءُ مَا شَاءُوا أَنْ يَقُولُوا عَنِ الْإِسْلَامِ ،

فَشَوْقِي رَجُلٌ مُعْتَرِ بَدِينِهِ لَا يَعْأُ بِالسَّبَابِ وَالشَّتَائِمِ الزَّائِفَةِ ،

يَقُولُ مُخَاطَباً لِلرَّوْدِ « كَرُومِر » - وَقَدْ طَعَنَ فِي الدِّينِ

الْإِسْلَامِيِّ فِي تَقْرِيرٍ رَفَعَهُ سَنَةَ ١٩٠٦ م ، زَاعِماً أَنَّهُ لَا

يُصْلِحُ لِهَذَا الْعَصْرِ - :

مَنْ سَبَّ دِينَ مُحَمَّدٍ ، فَمُحَمَّدٌ

مُتَمَكِّنٌ عِنْدَ الْإِلَهِ رَسُولاً (٢)

(١) الشوقيات ١٩٧/١ .

(٢) الشوقيات ١٧٦/١ .

١٤ - دعوة المسلمين للنهوض

قلنا : إن أعداء الإسلام اتخذوا من واقع المسلمين
سهماً للطعن في الإسلام بأنه لا يصلح لهذا العصر ، وقد
نَبَّه شوقي المسلمين إلى عاقبة كسلهم وخمولهم ، وبَيَّنَّ
لهم أن هوان المسلمين على الناس يرجع إلى نسيانهم لدينهم :

فقل لرسول الله : يا خيرَ مرُسلٍ

أبثك ما تدري من الحسراتِ (١)

شعوبك في شرقِ البلادِ وغربها

كأصحابِ كهفٍ في عميقِ سُبُاتِ

بأيمانهم نوران : ذكرٌ وسنةٌ

فما بالهم في حالِكِ الظلمات ؟

وذلك ماضي مجديهم وفخسارهم

فما ضرهم لو يعملون لآتي ؟

(١) الشوقيات ١٠١/١ .

ويقول في ذكرى المولد :

كَأَنَّ النَّحْسَ حِينَ جَرَى عَلَيْهِمْ
أَطَارَ بِكُلِّ مَمْلَكَةٍ غُرَابًا ^(١)

وَلَوْ حَفِظُوا سَبِيلَكَ كَانَ نُورًا
وَكَانَ مِنَ النَّحُوسِ لَهُمْ حِجَابًا

بَنَيْتَ لَهُمْ مِنَ الْأَخْلَاقِ رَكْنًا
فَخَانُوا الرُّكْنَ ، فَانْهَدَمَ اضْطِرَابًا

وَيَأْسَى عَلَى وَاقِعِهِمْ فِي الْهَمْزِيَّةِ ، فيقول :

أَدْرِي رَسُولُ اللَّهِ أَنَّ نَفُوسَهُمْ
رَكِبَتْ هَوَاهَا ، وَالْقُلُوبُ هَوَاءُ ^{هـ} ^(٢)

مُسْتَفْكًا كُونَ ، فَمَا تَضُمُّ نَفُوسَهُمْ
ثِقَةً ، وَلَا جَمْعَ الْقُلُوبِ صَفَاءُ

رَقِدُوا ، وَغَرَّهِمْ نَعِيمٌ بَاطِلٌ
وَنَعِيمٌ قَوْمٍ فِي الْقِيُودِ بَلَاءُ

(١) الشوقيات ٧٢/١ .

(٢) الشوقيات ٤١/١ .

ويؤسفه أيضاً أن يعلم أعداء المسلمين بما آلت إليه
حالهم من ضعفٍ وتفككٍ فيقول لهم :

أيُّ الصغائر في الإسلام فاشيةٌ
تودى بأيسرها الدولاتُ والأممُ^(١)

يجيش صدري ولا يجري بها قامي
ولو جرّى لبكى واستضحك القلم

أغضيتُ ضناً بعرضي أن ألمَّ به
وقد يروق العمى للحرّ والصمم

موه على الناس ، أو غالطهم عبثاً
فليس تكتمهم ما ليس ينكتهم

من الزيادة في البلوى وإن عظمُتْ
أن يعلم الشامتون اليوم ما علموا

كلّ الجراح بالأم ، فما لمستْ
يدّ العدو فثمّ الجرحُ والألم

والموتُ أهونُ منها وهي داميةٌ
إذا أسأها لسانٌ للعِدى وفمٌ

(١) الشوقيات ١/ ٢١٣ ، ٢١٤ .

ويتشفع شوقي لقومه ، ويدعو الله لهم ، فيقول في نهج البردة :

يا رب ، هبَّتْ شعوبٌ من منيَّتها
واستيقظت أممٌ من رقدة العدم ^(١)

فالطفْ لأجل رسول العالمين بنا
ولا تزدِ قومه خسفاً ، ولا تُسم

يا رب ، أحسنتَ ببدء المسلمين به
فتمسَّ الفضل ، وامنحْ حُسْنَ مُخْتَلَم

وفي الحمزية النبوية يخاطب الرسول الكريم قائلا :

ما جئت بابلك مادحاً ، بل داعياً
ومن المديح تضرع ودُعاءُ ^(٢)

أدعوك عن قومي الضعاف لأزمةٍ
في مثلها يُلقي عليك رجاء

ويدعو الله أن يوفق الأمة الإسلامية لتنهض نهضة
عزيزة ، فيقول :

(١) الشوقيات ٢٠٨/١ .

(٢) الشوقيات ٤١/١ .

فَقُلْ : رَبِّ ، وَفَقِ لِلْعِظَاثِمِ أُمْتِي
وَزَيِّنْ لَهَا الْأَفْعَالِ وَالْعِزْمَاتِ (١)

وَيَقْسُول :

سَأَلْتُ اللَّهَ فِي أَبْنَاءِ دِينِي
فَإِنْ تَكُنِ الْوَسِيلَةَ لِي أَجَابَا (٢)

وَمَا لِلْمُسْلِمِينَ سِوَاكَ حَصْنٌ
إِذَا مَا الضَّرُّ مَسَّهُمْ وَنَابَا

(١) الشوقيات ١٠٢/١ .

(٢) الشوقيات ٧٢/١ .

١٥ - الجامعة الإسلامية

إنَّ دعوة شوقي لنهوض المسلمين تستلزم أن يدلّتهم على طريق النهوض ، وكذلك فعل شوقي حينما حثهم على النهوض ودلّهم على السبيل وهو وحدة الشعوب الإسلامية والعربيّة وإخاؤها .

وقد جاء شوقي وفي المجتمع الإسلامي دعوة للجامعة الإسلامية ^(١) ، وممّن عاصرهم من دعاة الدكتور محمد إقبال ، وجمال الدين الأفغاني ، والخليفة العثماني ، ولم يفته أن يدلي بدأوه ؛ لأنّه يؤمن أنّ فيها قوّة للمسلمين ، وتنبهها لهم من غفلتهم ، وضماناً لاستقلالهم ، فيقول للخليفة عبد الحميد ، وقد وافقه في الدعوة للجامعة الإسلامية :

رضي المسلمون ، والإسلامُ

فَرَعَ عثمانَ ، دُمُ ، فِداك الدَّوامُ ^(٢)

(١) انظر كتاب « شوقي : شعره الإسلامي » ماهر فهمي / ٣٨ و ٣٠

وما بعدها ، وكتاب « شوقي في ركب الخالدين » لنجيب الكيلاني / ١٠٢ وما بعدها .

(٢) الشوقيات ١ / ٢٣٩ ، ٢٤١ .

أُمَّةُ التُّرْكِ ، والعراقِ ، وأهلُو
هـ ، ولبنانُ ، والربِّي ، والحيام

عالمٌ لم يكن لينُظَّم ، لولا
أنَّكَ السَّلْمُ وَسَطُهُ والوثام

ويدعوها كذلك في قصيدته « مرحباً بالهلال » التي
قالها سنة ١٣٢٩ هـ للنهوض :

أَمَّسَ الهلال ، مقالةً من صادق
والصَّدقُ أَلِيقُ بالرجال مقالا (١)

من عادة الإسلام يرفعُ عاملاً
ويسودُّ المِقْدَامَ والفَعَّالَا

ظَلَمَتَهُ السَّيِّئَةُ تَوَاخَذُهُ بِكُفْمِ
وظَلَمَتُمُوهُ ، مفرطين ، كُسَالِي

هذا هلالُكُم تكفَّلَ بالهْدِي

هل تعلمون مع الهلال ضللاً ؟

سرتِ الحضارةُ حقبةً في ضوئه
ومَشَّي الزَّمانُ بنوره مختلَا

(١) الشوقيات ١/ ١٨٧ .

وَبَتَّى لَهُ الْعَرَبُ الْأَجَاوِدُ دَوْلَةً
كَالشَّمْسِ عَرْشاً ، وَالنَّجُومِ رَجَالاً

حَتَّى إِذَا انْقَسَمُوا تَقَوَّضَ مُلْكُهُمْ
وَالْمَلِكُ إِنْ بَطَلَ التَّعَاوُنُ زَالاً

لَوْ أَنَّ أَبْطَالَ الْحُرُوبِ تَفَرَّقُوا
غَلَبَ الْجَبَانُ عَلَى الْقَنَاءِ الْأَبْطَالَا

وفي رثائه للشيخ عبد العزيز جاويز يمدحه بأنه سعى
ليؤلف بين المسلمين على اختلاف أجناسهم ومعادتهم فيقول :

يَقُولُونَ : مَا (لِأَبِي نَاصِرٍ)
وَلِلتُّرْكِ ؟ مَا شَأْنُهُ وَالْهُنُودِ ؟ (١)

وَفِيمَ تَحْمِلُ هَمَّ الْقَرِيبِ
مَنْ الْمُسْلِمِينَ ، وَهَمَّ الْبَعِيدِ ؟

فَقُلْتُ : وَمَا ضَرَّكُمْ أَنْ يَقْسُومَ
مَنْ الْمُسْلِمِينَ إِمَامٌ رَشِيدٌ

(١) الشوقيات ٦٧/٣ .

سَعَى لِيُوَلِّفَ بَيْنَ الْقُلُوبِ
فَلَمْ يَعُدْ هَدْيَ الْكِتَابِ الْمَجِيدِ
يَشُدُّ عِزَّ الدِّينِ فِي دَارِهِ
وَيَدْعُو إِلَى اللَّهِ أَهْلَ الْجُحُودِ
وَلِلْقَوْمِ حَتَّى وَرَاءَ الْقِفَارِ
دَعَا تَغْنِي ، وَرُسُلٌ تَشِيدُ
وَيَقُولُ مَعْزِيًّا إِمَامَ الْيَمَنِ فِي ابْنِ لَهُ :
وَيَجْمَعُ قَوْمَكَ بِالْمُسْلِمِينَ
عَظِيمُ الْفُرُوضِ ، وَسَمَحُ السُّنَنِ^(١)
وَأَنْ نَبِيَّهُمْ وَاحِدٌ
نَبِيُّ الصَّوَابِ ، نَبِيُّ اللَّسَنِ

(١) الشوقيات ١٦٩/٢ .

١٦ - الخلافة الإسلامية

يذكر الدكتور محمد حسين هيكل في مقدّمته للشوقيات أن الجزء الأول منها يشتمل على ثماني عشرة قصيدة عن الخلافة والترك^(١) وهي ليست كلّ ما قاله شوقي في هذا الصّدّد بل هناك غيرها كثير ، بل إن بعضها لا يوجد بالديوان^(٢) ، فما أسباب تعلقه بالترك ؟ وما مظاهر عاطفته التركية ؟ وما هدفها ؟

أسباب تعلقه بالترك هي الأسباب الآتية^(٣) :

١ - مشاركة شوقي لغيره من الساسة والأدباء في تأييدهم للخلافة^(٤) ؛ حرصاً على الوحدة الإسلامية ، التي دعا إليها شوقي أيضاً .

(١) الشوقيات ١٤/١ .

(٢) انظر في تركيات شوقي كتاب « العامل الديني في الشعر المصري الحديث » لسعد الدين الجيزاوي/٣١٩ ، وكتاب « أصداء الدين » له أيضاً ٢٧٤-٢٧٨ فقد ذكر في هذين الموضعين جميع أشعار شوقي التركية (٣) انظر وطنية شوقي /٣٢١ ، والإسلام في شعر شوقي /١٥٠ ، وكلاهما لأحمد الحوفي .

(٤) انظر من شاركه هذا الاتجاه في « الإسلام في شعر شوقي /١٠٤ .
وص ١٤٦ من هذا البحث .

٢ - كانت الدول الأوروبية قد أخذت تشن حملاتها على ديار الإسلام ، وشوقي مسلم معتز بإسلامه ، يرى هذه الخلافة رمزاً للدين ، فكانت عاطفته التركية صدى لعاطفته الدينية ، فهو يناصر الترك حفاظاً على الإسلام والمسلمين ، وكيف يترك الدول الأوروبية تعلن حربها الصليبية على تركيا وهو الذي دعا للجامعة الإسلامية ووحدة المسلمين ؟!

وليس أدل على أن عاطفته التركية كانت دينية من قوله يمدح السلطان عبد الحميد :

وما زلتُ حَسَّانَ المقامِ ، ولم تزلْ

تليني ، وتسرى منك لي النفحات^(١)

زهدتُ الذي في راحتك ، وشاقتني

جوائِرُ عند الله مُبْتَغِيَاتُ

ومن كان مثلي أحمد الوقت ؛ لم تُعجزْ

عليه - ولو من مثلك - الصدقات

فهو يمدحه أملاً في ثواب الله ، ويقول في موضع آخر بأن حبه للإمام ديانة وليس طلباً لغرض زائل :

(١) الشوقيات ٩٧/١ .

أَخْلَصْتُ حُبِّي فِي الْإِمَامِ دِيَّانَةً
وَجَعَلْتُهُ حَتَّى الْمَمَاتِ شِعَارِي (١)

لَمْ أَلْتَمَسْ عَرَضَ الْحَيَاةِ ، وَإِنَّمَا
أَقْرَضْتُهُ فِي اللَّهِ وَالْمُخْتَارِ
وَشَعْرَهُ فِي الْخَلِيفَةِ زُلْفَى إِلَى اللَّهِ :

فَلَا زِلْتُ كَهْفَ الدِّينِ ، وَالْهَادِيَ الَّذِي
إِلَى اللَّهِ بِالزُّلْفَى لَهُ نَتَقَرَّبُ (٢)

وَكَذَلِكَ نَضَالُهُ عَنِ الْخِلَافَةِ حُبًّا لِلَّهِ :
مَنْ قَاتِلٌ لِلْمُسْلِمِينَ مَقَالَةٌ
لَمْ يُوحِهَا غَيْرَ النَّصِيحَةِ وَاحٍ ؟ (٣)

عَهْدُ الْخِلَافَةِ فِي أَوَّلِ ذَائِدِ
عَنْ حَوْضِهَا بِبِرَاعَةٍ نَضَّاحِ
حُبِّ لِدَاتِ اللَّهِ كَانَ ، وَلَمْ يَزَلْ
وَهْوَى لِدَاتِ الْحَقِّ وَالْإِصْلَاحِ

(١) الشوقيات ٣٩/٢ .

(٢) الشوقيات ٥٨/١ .

(٣) الشوقيات ١٠٨/١ .

وبصرَحَ بأن تأييده للخلافة لما فيها من كَم شتات
المسلمين فيقول :

فلولاكَ ملئُك المسلمين مُضِيَّعُ
ولولاكَ شَمَلُ المسلمين شتاتُ ^(١)

ويقول :

يا دولةَ الخلقِ التي تاهت على
ركن السُّمَّاءِ بركنها المسموكِ ^(١)

بيني وبينك مِلَّةٌ وكتابُها
والشرق يَنمِينِي كما يَنمِيلُ

قد ظنَّني اللاحي نطقت عن الهوى؛
وركبتُ متنَ الجهلِ إذ أطريك

لم ينقِذِ الإسلامَ أو يرفعَ له
رأساً سوى النِّفَرِ الأثلي رفعوك

وبصرَحَ أيضاً بأن الدولة العثمانية مهما كانت فيها
من عيوب فهي أدنى من الغريب ، ويعني دول الاستعمار

(١) الشوقيات ٩٥/١ .

(٢) الشوقيات ١٦٥/١ .

الأوربيّة ، فيقول في قصيدة (لم تنشر بالديوان) يحنّ
فيها للخلافة ، ويدفع ما اتُّهم به من حُبٍّ أعمى للأتراك ؛

ودفنتُها فدفنتُ خيرَ قصائدي

معها ، وطال بغيرها إنشادي ^(١)

حتى اتُّهمتُ فقليل : تركيّ الهوى

صدقوا ، هوى الأبطالِ ملء فؤادي

وأخي القريبُ وان شقيت بظلمه

أدنى إلىَّ من الغريب العادي

٣ — وهناك عاملان ضعيفان يذكرهما بعض المؤلفين

مشيرين إلى ضعفهما :

أولهما : أن البيت العلوي الحاكم في مصر زمن

شوقي كان من أصل تركي .

وثانيهما : أن شوقيّاً من أصل تركي .

أمّا أول العاملين « فلم يكن قوياً ؛ لأن البيت العلوي

لم يكن دائماً يَكِينٌ للترك من الود والإخلاص والإيثار

(١) العامل الديني في الشعر المصري الحديث / ٢٣٢ والقصيدة

منشورة فيه كاملة / ٤٨٥

ما يطلق لسان شوقي بتمجيدهم ، والإشادة بذكرهم ،
بجاملة للبيت العلوي فحسب . ولم ننسَ بعد أن محمد علي
ناضل تركيا نضالاً عنيفاً طويل الأجل ليستقل بمصر ،
ولم ننسَ أن الخديوي إسماعيل بذل الأموال والجهد
لينفصل عن تركيا . . . ، وإذن فلم يغرد شوقي بقصائده
التركية ليرضي القصر فحسب وإنما غرد مدفوعاً بعاطفة
أعظم وأعمق وأحدّ ، هي العاطفة الإسلامية ^(١) .

أمّا ثاني العاملين - وهو أنّ في شوقي قطرات دم
تركيّة - فهو ضعيف أيضاً «بدليل أنّ ولي الدين يكن
التركي القحّ لم يكن يحمل للخلافة من الحب والإجلال
والبُغيا ؟ مثل ما حمل شوقي . . . » ^(٢) واو كان لدم
شوقي التركي أثر في تركياته لما هجا كمال أتاتورك بعد أن
مدحه بل لبّالغ في مدحه لأنه تعصب للأتراك ^(٣) .

« إن شوقي كان شاعراً إسلامياً قبل أن يكون عثمانياً .
وإنّه يجعل محمداً عليه الصلاة والسلام قطب الرّحى في
عثمانيته وإسلاميته : إن أعوزته صورة بضوئية يخلعها

(١) أحمد الحوني / وطنية شوقي / ٢٢٢ .

(٢) أحمد الحوني / وطنية شوقي / ٢٢٢ .

(٣) انظر ص ١٦٠ من هذا البحث .

على خليفة تركي فعَنَ محمد ، وإن احتاج إلى ماثرة
عَفَّهَ بمنحها خليفة تركيا فَمَنَ محمد ، وإن أراد بهاء
وحسن رواء وجمال طلعة فأين تكون إلاّ لدى محمد !!»

لا . ثُمَّ لا . فإن شوقي لم يكن في دراسته لسيرة محمد
(صلى الله عليه وسلم) ليتخذ منها وسيلة لتمجيد العثمانيين ،
وإنما رأى شوقي كما رأى كافة المسلمين في الخلافة أنها
رمز لوحدة المسلمين وقوتهم » (١) .

ومظاهر عاطفته الإسلامية في تركيَّاته تتمثل في
الأُمور التالية (٢) :

١ - يرى شوقي انتصار الأتراك انتصاراً للإسلام ،
لأنَّهم ممثلو الجامعة الإسلامية ، ومن ذلك قصيدته « صدى
الحرب » التي وصف فيها انتصار الأتراك في اليونان ومطلعها :

بسيفك يعلو الحقّ ، والحقُّ أغلبُ

وينصر دين الله أيَّان تضربُ (٣)

(١) العامل الديني في الشعر المصري الحديث / ٣٣٢ ، وهو ناقل
للمقطع الأول من كتاب « محمد في الأدب المعاصر » .

(٢) انظر وطنية شوقي / ٣٢٣ .

(٣) الشوقيات ١/ ٤٢-٥٨ .

وقصيدته «انتصار الأتراك في الحرب والسياسة»
ومطلعها :

الله أكبر كم في الفتح من عجب
يا خالد الترك ، جدّ خالد العرب^(١)

وهي التي يقول فيها بيته الشائع الذائع :
ولا أزيدك بالإسلام معرفةً
كلّ المروءة في الإسلام والحسب

وقصيدته في انتصار العثمانيين على اليونانيين سنة
١٣١٤ هـ ، ومطلعها :

بحمد الله ربّ العالمينا
وحمدك يا أمير المؤمنين^(٢)
لقينا في عدوك ما لقينا
لقينا الفتح والنصر المبينا
ويختتمها بقوله :

(١) الشوقيات ١/٥٩-٦٤ .

(٢) الشوقيات ١/٢٨٠-٢٨٥ .

بني عثمان ، إنا قد قَدَرْنَا
فتوحكمُ الكبارَ وقد شكرنا

سألنا الله نصرًا ، فانتصرنا
بكم ، والله خيرُ الناصرينا

٢ - يريد من الترك - ممثلي العالم الإسلامي آنذاك -
أن يكونوا أقوياء ، خلقاء بأمل العالم الإسلامي المنوط بهم ،
ويستحثهم شباباً وشيوخاً ، فيقول :

الدهرُ يقْظانُ ، والأحداثُ لم تَنْسَمِ
فما رقادُكم يا أشرف الأممِ ؟ (١)

أنتم غدُ الملك والإسلام ، لا برحاً
منكم بخير غدٍ في المجدِ مبتسم

فلا تكونُنَّ «تركيا الفتاة» ، ولا
تلك العَجوز ، وكونوا تركياً القِدم

فسيفُها سيفُها في كل معترك
وعدلُها طوق الإسلام بالنعم

(١) الشوقيات ٢٢٥/١ ، ٢٢٦ .

ويقول في قصيدة « الهلال الأحمر » :

يا قومَ عثمان - والدنيا مداوالة -

تعاونوا بينكم يا قومَ عثماناً (١)

كونوا الجدار الذي يقوى الجدارُ به

فالله قد جعل الإسلام بنياناً

ويدعو المسلمين إلى دعمهم ومؤازرتهم ، فيقول
عندما اشترت الدولة العثمانية بارجتين من ألمانيا وشاهدهما :

يا معشر الإسلام ، في أسطولكم

عِزٌّ لكم ، ووقايةٌ ، وسلامٌ (٢)

جودوا عليه بما لكم ، واقضوا له

ما توجب الألقُ والأرحام

٣ - حُزْنُهُ العميق إذا سقطت ولاية إسلامية في

يد الدول الغربية أو انفصلت عن الخلافة ، ومن قصائده

في هذا المجال «الأندلس الجديدة» التي قالها حين سقطت

«أدرنة» في يد البلغار سنة ١٩١٢ م . ويشبّثها بالأندلس

الآفلة ، فيقول :

(١) الشوقيات ١/ ٢٤٥ .

(٢) الشوقيات ١/ ٢٣٠ .

يا أختَ أندلس ، عليكِ سلامُ
هَوّتِ الخلافةُ عنكِ ، والإسلامُ^(١)

صبراً أدركتُ ! كلُّ ملكٍ زائلٌ
يوماً ، ويبقى المالكُ العلامُ
خَفَّتِ الأذانُ ، فما عليكِ مُوحِّدٌ
يسعى ، ولا الجُمُعُ الحسانُ تقامُ

٤. — بكاء الخلافة حين أفلت شمسها على يد مصطفى
كمال ، وقد أنشأ سنة ١٩٢٤ قصيدته « خلافة الإسلام »
ومطلعها :

عادتْ أغاني العرس رَجَعِ نِواحُـ
ونُعيتِ بين معالم الأفراحِ^(٢)
وفيها يقول :

ضجَّتْ عليكِ مآذنٌ ، ومنابرٌ
وبكتِ عليكِ ممالكٌ ونِواحُـ

(١) الشوقيات ٢٣٠/١ ، ٢٣٨ .

(٢) الشوقيات ١٠٥/١ ، ١٠٦ .

الهند والهة ، ومصر حزيننة
تبكي عليك بمدمع سحاح
والشام تسأل ، والعراق ، وفارس
أمحا من الأرض الخلافة ماح ؟

وفيهما يعتذر عن مدحه السابق لمصطفى كمال (مُلغني
الخلافة) في قصيدته (انتصار الأتراك في الحرب والسياسة .
وله قصيدة أخرى في بكاء الخلافة لا توجد بالديوان
عدد أبياتها ثلاثة وستون بيتاً (١) .

* * * *

أما هدف عاطفته التركية فهو أن يرتبط المسلمون
بوحدة تجمعهم ، وتجعلهم صفياً واحداً في وجه المستعمرين
والطامعين ، يدل لذلك ما قدّمناه من نماذج شعرية .

(١) انظر ص ١٥٠ ، ١٥٤ من هذا البحث .

١٧ - وطنية شوقي الكبرى^(١)

بالرغم من أن قصائد شوقي التركية لا تخلو أي قصيدةٍ منها من الإشادة بالإسلام، أو من تلميح له على الأقل، بالرغم من ذلك ثارت حفاظ بعض الناس، فاتهموه بأن شعره لا يُعبر عن وطنه المصري والعربي، وفي شعره ما يوید هذا الاتهام إذ يقول في رثاء الخلافة :

ودفنتها فدفنت خير قصائدي

معها ، وطال بغيرها إنشادي^(٢)

حتى اتهمتُ فقيل : تركي الهوى

صدقوا. هوى الأبطال ميلٌ فوادي

ومع أن الرجل يعلل لحبه للأتراك بعد هذين البيتين

(١) قلت الكبرى تفريقاً بين وطنية شوقي المصرية ووطنية الإسلامية الشاملة والأولى ليست من صميم هذا البحث .

(٢) القصيدة لم تنشر بالديوان انظرها في « العامل الديني في الشعر المصري الحديث » ٣٢٢/ ، وانظر ص ١٥٠ ، ١٥٤ من هذا البحث .

بأنّ حكم الأتراك مهما كان فيه من شقاء فهو أدنى من
حكم البعيد الغريب (يعني المستعمر الأوربيّ) فيقول :

وأخي القريب وإن شقيت بظلمه

أدنى إلى من الغريب العادي

والله يعلم ما انفردتْ وإنما

صورت شعري من شعور الوادي

مع أنّ الرجلُ يُعلّلُ بهذا - وللأسباب السابقة التي
ذكرناها لعاطفته التريكة - حَمَلٌ عليه بعض المتحاملين
متجاهلين تلك الأسباب ، فقال أحدهم : « على أننا نلمس
بوضوح أنّه التهب حماسة من أجل الترك أكثر مما التهب
من أجل مصر ، وعُني بالجامعة الدينية أكثر مما عُنِي
بالوطنية المصرية » ^(١) ويقول آخر : مُنْتَقِداً تقديم
شوقي الدين على الوطن قبل النفي : « وهذا مثال يظهر
بوضوح انتصار الدين وتقديمه على الوطن في شعر شوقي
قبل النفي . . . » ^(٢) . وينطلق من هذا إلى أن العاطفة
الوطنية أصبحت تراحم كلّ ميل آخر بعد النفي حتّى
لامستْ ذروة عاطفته الدينية ، ويستدل بقول شوقي :

(١) محمود حامد شوكت في « المسرحية في شعر شوقي » ٢٩/ .

(٢) أندلسيات شوقي ٢٠٩/ .

ويا وطني ، لقيتُك بعد يأسٍ
كأنِّي قد لقيتُ بك الشبابا (١)

ولو أنِّي دُعيتُ لكنتُ ديني
عليه أقابل الحتمَ المُجابا

أدير إلَيْكَ قبل البيتِ وجهي
إذا فهتُ الشهادةَ والمتابا

أما أنْ شوقياً التهب حماساً للترك أكثر من مصر ،
فهو قولٌ غير قائم على دليل ، فشوقي لم يمدح الأتراك
لحبِّه لهم أو تفضيلهم على مصر ، وإنما مدحهم للأسباب
السابقة التي ذكرناها (٢) وسنزيدُ الكلامَ تفصيلاً بعد
قليل ، أمّا أن عاطفته الدينية اختلفت بعد النفي
عنها قبل النفي ، فهو كلام غير دقيق ، فعاطفة شوقي
الدينية لم تختلف كما سيتَّضح هذا عند عرض تاريخ
قصائده الدينية في الفصل الثالث من هذا البحث.

وفي الحقيقة أن القصيدة التي منها الأبيات الثلاثة
السابقة هي فاتحةُ شعر الشاعر بعد عودته من منفاه ببلاد

(١) الشوقيات ٦٦/١ .

(٢) انظر ص ١٥٠ وما بعدها من هذا البحث .

الأندلس ، وحين عرّج فيها على استقبال بلاده بعد غيبة طويلة ، مَلَكْتُ عليه الفرحُ كُلَّ حواسه ومشاعره ، فأخطأ من شدة الفرح ، فضلاً عن دقة تعبير شوقي ، فقد عبّرَ بِإِسْوٍ إِذْ قال « لو أَنِي ... » ولو - كما هو معلوم - حرف امتناع لامتناع .

ومع أَنَّهُ يبدو كأنَّه من المُسَلِّم به أن عاطفة شوقي الدينية لا تزاحمها أيّ عاطفة أخرى ، ويعترف بهذا حتى الناقمين عليه ، إلاّ أن هذا لا يعني أن شوقيّاً لم يكن وطنياً كما خيّل لبعضهم ، ولكن كان الدين يحتل عنده المحلّ الأول من حيث كثرة شعره الديني وصدق شعوره .

« ولعلّ شوقي قد قضى حقّ مصر ، وحقّ الطبيعة المصريّة ، ووفّى ما على الشعراء من دين أثقل كاهلهم بعد البارودي » ^(١) .

نعم قَضَى حقّ مصر فأول قصيدة في ديوانه « كبار الحوادث في وادي النيل » ^(٢) يعرض فيها تاريخ مصر في القديم والحديث .

(١) في الأدب الحديث لعمر الدسوقي / ١٦٧ .

(٢) الشوقيات ١٧/١ - ٤٣ .

ومن قصائد المصريّة « بعد النفي »^(١) ، و « أبو الهول »^(٢)
و « رحالة الشرق »^(٣) و « بنك مصر »^(٤) ، وشهيد
الحق «^(٥) ، و « ذكرى دنشواي »^(٦) و « الربيع ووادي
النيل »^(٧) ، و « الرحلة إلى الأندلس »^(٨) ، و « أنس
الوجود »^(٩) و « أيّها النيل »^(١٠) ، و « مصر »^(١١) ،
و « أندلسيّة »^(١٢) ، و « تمثال نهضة مصر »^(١٣) و « الجامعة
المصريّة »^(١٤) ، و « بنك مصر »^(١٥) ، « دار بنك مصر »^(١٦) ،

-
- (١) الشوقيات ٦٨-٦٤/١ .
 - (٢) الشوقيات ١٣٢/١ .
 - (٣) الشوقيات ١٥٥/١ .
 - (٤) الشوقيات ١٨٤/١ .
 - (٥) الشوقيات ٢٢١/١ .
 - (٦) الشوقيات ٢٤٤/١ .
 - (٧) الشوقيات ٢٢/٢ .
 - (٨) الشوقيات ٤٤/٢ .
 - (٩) الشوقيات ٥٤/٢ .
 - (١٠) الشوقيات ٦٣/٢ .
 - (١١) الشوقيات ٧٩/٢ .
 - (١٢) الشوقيات ١٠٤/٢ .
 - (١٣) الشوقيات ١٨٤/٢ .
 - (١٤) الشوقيات ١٠/٤ .
 - (١٥) الشوقيات ١٤/٤ .
 - (١٦) الشوقيات ١٧/٤ .

و «دار العلوم» ^(١) ، و«اسكندرية آن أن تتجددي» ^(٢) ،
و «فتية الوادي عرفنا صوتكم» ^(٣) ، و « النيل » ^(٤) ،
و «نشيد مصر» ^(٥) وغير ذلك من قصائد ، بالإضافة إلى
ما قاله في ثنايا قصائد أخرى ، أو دعا فيه لوحدة المسلمين
والقبط ^(٦) .

وامتدَّ بشعره إلى جميع ساحات الوطن العربي لا
سيما البلاد التي كانت تخوض حرباً ضدَّ المستعمر.
قال في سورِيَّة ^(٧) ، ولبنان ^(٨) ، وليبيا ^(٩) ، والحجاز ^(١٠)
واليمن ^(١١) .

-
- (١) الشوقيات ٢١/٤ .
 - (٢) الشوقيات ٢٤/٤ .
 - (٣) الشوقيات ٢٦/٤ .
 - (٤) الشوقيات ١٩٥/٤ .
 - (٥) الشوقيات ١٩٧/٤ .
 - (٦) انظر ص ١٠٧ / من هذا البحث .
 - (٧) انظر الشوقيات ٧٢/٢ ، ١٠٠ ، ١٨١ .
 - (٨) انظر الشوقيات ١٩٢/١ ، ١٥٠/٢ .
 - (٩) الشوقيات ١٧/٣ .
 - (١٠) انظر الشوقيات ٩٨/١ ، ٢١١ ، ٨٤/٢ ، ١٥٠/٣ .
 - (١١) الشوقيات ١٦٩/٣ .

ولم يُنزل المستعمرون بأيّ بقعة من الوطن العربي أو
الإسلامي قارعةً من قوارعهم إلا هَسَبَ محرضاً على القتال ،
مهتداً المستعمر بالويل .

كلُّ هذا يدلّ على أن الوطنية تأخذ مكانها في شعر
شوقي وإن اتَّهَمَ المتهمون ، لإكثاره من الشعر الإسلامي ،
ولدعوته المسلمين للوحدة وتأييده للخلافة التي تعتبر مظهراً
للوحدة الإسلامية آنذاك .

وأخيراً فإن وطنية شوقي تتعدى الوطن العربي إلى
الوطن الإسلامي كلّهُ ، وقد نشرت مجلة العربي التي
تصدر في الكويت وثيقة تبرئ السلطان عبد الحميد الذي
أكثر شوقي من مدحه ، ممّا ألصقه به الناس من تهم ،
وتظهر حرصه على كلّ بقعة من بقاع الوطن العربي
والإسلامي من السقوط في يد المستعمر ، وجاء في الوثيقة
« . . . إن هؤلاء الاتحاديين [جماعة الاتحاد والترقي]
قد أصرّوا وأصرّوا علىّ بأن أصادق على تأسيس وطن قومي
 لليهود في الأرض المقدّسة (فلسطين) ورغم إصرارهم
 فلم أقبلْ بصورة قطعية هذا التكليف ، وأخيراً عدوا
بتقديم (١٥٠) مائة وخمسين مليون ليرة انكليزيّة ذهباً ،

فرفضت هذا التكليف بصورة قطعية أيضاً ، وأجبتهم
بهذا الجواب القطعي الآتي :

إنكم لو دفعتم ملء الدنيا ذهباً — فضلة عن (١٥٠) مائة وخمسين مليون ليرة انكليزية ذهباً — فلن أقبل بتكليفكم هذا بوجه قطعي . لقد خدمتُ الملة الإسلامية والأمة المحمدية ما يزيد على ثلاثين سنة فلم أسود صحائف المسلمين آبائي وأجدادي من السلاطين والخلفاء العثمانيين . لهذا لن أقبل تكليفكم بوجه قطعي أيضاً . . . » (١) إذن شوقي كان يدرك من أمور الخلافة ما لم ندركه إلا بعد زمن بعيد ، وهو في منافحته عن عبد الحميد ينافح عنه لما يعرفه عنه من حسن نيّة وإخلاص للبلاد العربية والإسلامية.

(١) مجلة العربي العدد ١٦٩ شوال سنة ١٣٩٢ هـ ديسمبر (كانون

أول) ١٩٧٢ م ص ١٥٥ وما بعدها .

١٨ - الأخلاق

الأخلاق أساس حياة الأمم ومجدها وعظمتها ،
وصلاح المجتمع ؛ لذا أكثر شوقي من تكرار الحديث
عنها في ديوانه وهو تكرار يدل على ما يراه الشاعر من
دور مهم للأخلاق في بناء المجتمع الصالح فهي ركنه
الركين ويتضح هذا التكرار في السرد التالي للأبيات
الآتية وهي من قصائد مختلفة :

.....

كذا الناس : بالأخلاق يبقى صلاحهم
ويذهب عنهم أمرهم حين تذهب^(١)

.....

وإن همَّ بالعفو الكريم رجاؤهم
فمن كرم الأخلاق أن لا يخيبوا^(٢)

.....

(١) الشوقيات ٤٤/١ .

(٢) الشوقيات ٥٨/١ .

وما السلاحُ لقومٍ كلُّهُ عُدَّةٌ تهِيمُ
حتَّى يكونوا من الأخلاقِ في أهُبٍ^(١)

.....

وليس بعامرٍ بنيانُ قومٍ
إذا أخلاقُهُم كانت خراباً^(٢)

.....

بَنَيْتَ لَهُم من الأخلاقِ ركناً
فخَانُوا الركنَ ، فَانْهَدَمَ اضْطِرَاباً^(٣)

.....

قِفْ سائلَ النحلِ به
بأيِّ عقلٍ دَبَّرَهُ ؟^(٤)

يجيبك بالأخلاقِ وهـ
سـي كالعقولِ جوهره
تغني قوَى الأخلاقِ ما
تغني القوَى المفكَّره

(١) الشوقيات ٦٠/١ .

(٢) الشوقيات ٦٥/١ .

(٣) الشوقيات ٧٢/١ .

(٤) الشوقيات ١٤٦/١ .

ويرفعُ الله بهـا
من شاءَ حتّى الحشره

• • • • •

فلو انّ أخلاقَ الرجالَ تصوّرتُ
لرأيتُ صخرتها أساساً فيلك^(١)

• • • • •

وإذا أصيبَ القومُ في أخلاقهم
فأقم عليهم مأتماً وعدويلا^(٢)

• • • • •

اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بلسانِهِم
خلقَ البيانَ وعَلَّمَ الأمثالا^(٣)

وتخيرَ الأخلاقَ أحسنها لهم
ومكّارمُ الأخلاقِ منه تعالى

• • • • •

صلاحُ أمرِكَ للأخلاقِ مرجعُهُ
فقومُ النَّفسِ بالأخلاقِ تستقيم^(٤)

(١) الشوقيات ١٦٥/١ .

(٢) الشوقيات ١٨٣/ .

(٣) الشوقيات ١٨٧/١ .

(٤) الشوقيات ١٩٤/١ .

فاقَ البدورَ ، وفاقَ الأنبياءَ ، فكم
بالخلقِ والخلقِ مِن حُسْنٍ ومن عظمِ (١)

* * * *

ولمّا الأممُ الأخلاقَ ما بقيتْ
فإن تولّتْ مضوا في إثرِها قدُما (٢)

* * * *

فما على المرءِ في الأخلاقِ من حرجٍ
إذا رعى صِلَةَ في الله ، أو رحما (٣)

* * * *

ويُفَصِّلُ الأخلاقَ لئلا
أجبالَ تفصيلَ اليتيمِ (٤)

* * * *

هو ضِنَّةُ المثرى من الـ
أخلاقِ ، أو مالُ العديمِ (٥)

* * * *

(١) الشوقيات ١٩٧/١ .

(٢) الشوقيات ٢١٧/١ .

(٣) الشوقيات ٢١٧/١ .

(٤) الشوقيات ٢١٨/١ واليتيم اللؤلؤ .

(٥) الشوقيات ٢١٩/١ .

مُلْكٌ من الأخلاق كان بناؤه
من نَحْتِ أَوْلَكُم ومن صَوَّاهُ (١)

* * * *

زِيدَتِ الأخلاق فيه حائطاً
فاحتَمَى فيها رِواقاً وقِباباً (٢)

* * * *

قَتَمٌ وقَارُ الدِّينِ في أخلاقِهِم
والشَّعْبُ ما يَعتادُ أو يَتَخَلَّقُ (٣)

* * * *

واستحدثت دِيناً ، فكان فضائلاً
وبناء أخلاقٍ يطول ويشهقُ (٤)
تَطَوَّى البلادُ لهم ، ويُسجَدُ جيشُهُم

جَيْشٌ من الأخلاقِ غازٍ مُورِقٌ (٥)

* * * *

(١) الشوقيات ٢٦٢/١ .

(٢) الشوقيات ٢٠/٢ .

(٣) الشوقيات ٧١/٢ .

(٤) الشوقيات ٧٢/٢ .

(٥) الشوقيات ٧٣/٢ .

وَطَنِي ، أَسَفْتُ عَلَيْكَ فِي عِيدِ الْمَلَا
وبكيتُ من وَجْدٍ ، ومن إشفاقٍ (١)

لا عَيْدَ لي حتَّى أراكَ بِأَمَّةٍ
شَمَاءَ رَاوِيَّةٍ مِنَ الْأَخْلَاقِ

.....

هَذَا الْأَدِيمُ ، كِتَابٌ لَا كِفَاءَ لَهُ
رَثَ الصَّحَائِفِ ، بَاقٍ مِنْهُ عُنْوَانُ (٢)
الدِّينِ وَالْوَحْيِ وَالْأَخْلَاقِ طَائِفَةٌ
مِنْهُ ، وَسَائِرُهُ دُنْيَا وَبُهْتَانُ

.....

لَوْ لَمْ يَسُودُوا بِدِينٍ فِيهِ مَسْنَبَةٌ
لِلنَّاسِ ؛ كَانَتْ لَهُمْ أَخْلَاقُهُمْ دِينًا (٣)

.....

وَفَتَاةٍ مَا زَادَهَا فِي غَرِيبِ الْـ
حَسَنِ إِلَّا غَرَائِبُ الْأَخْلَاقِ (٤)

.....

(١) الشوقيات ٧٨/٢ .

(٢) الشوقيات ١٠٠/٢ .

(٣) الشوقيات ١٠٤/٢ .

(٤) الشوقيات ١٣٣/٢ .

رَضَعَ الأخلاقَ من ألسانها
إن للأخلاق وقعاً في الصَّغَرِ (١)

• • • • •

وبناءُ أخلاقٍ عليه من النهي
سُورٌ ، ومن عِلْمِ الزمانِ إطارٌ (٢)

• • • • •

وإذا الأخلاقُ كانت سُلماً
نالت النجمَ يَدُ الْمُتَمِّيسِ (٣)

• • • • •

ارتدَّت العاهاتُ عن أخلاقِهِ
لِسُوءِهِنَّ وَحَلَّتِ الأَعْضاءَ (٤)

• • • • •

ولَهْفَى على الأخلاقِ في رُكْنٍ هَيْكَلٍ
بيطن الثرى رَثَّ المعالِمِ خابِئِ (٥)

(١) الشوقيات ١٦٣/٢ .

(٢) الشوقيات ١٦٤/٢ .

(٣) الشوقيات ١٧٦/٢ .

(٤) الشوقيات ١٠/٣ .

(٥) الشوقيات ٣٢/٣ .

والمؤمنُ المعصومُ في أخلاقه

من كل شائنةٍ ، وفي آدابه (١)

* * * *

وجدتُ معانيَ الأخلاقِ شتىً

جمعنُ فكُنَّ في اللفظ الرضاعا (٢)

* * * *

ومحسنُ الأخلاقِ فيك تغيَّبتُ

عاماً ، وسوف تُغيَّبُ الأعواما (٣)

* * * *

المجدُ والشرفُ الرفيعُ صحيفةٌ

جُعِلَتْ لها الأخلاقُ كالعنوان (٤)

* * * *

بصرتُ بأخلاقِ الرجال فلم أجِدْ

— وإن جِلَّتْ الأخلاقُ — للزعم ثانياً (٥)

* * * *

(١) الشوقيات ٣٣/٣ .

(٢) الشوقيات ١٠٠/٣ .

(٣) الشوقيات ١٤٤/٣ .

(٤) الشوقيات ١٥٨/٣ .

(٥) الشوقيات ١٨٢/٣ .

أحقُّ أَنَّهُمْ دَفَنُوا عَلِيًّا
 وَحَطَّوْا فِي الثَّرَى الْمَرْءَ الزَّكِيَّ؟^(١)
 فَمَا تَرَكُوا مِنَ الْأَخْلَاقِ سَمْنَحًا
 عَلَى وَجْهِ التَّرَابِ، وَلَا رَضِيًّا؟
 وَجَدْتُ الْعِلْمَ لَا يَبْنِي نَفُوسًا
 وَلَا يَغْنِي عَنِ الْأَخْلَاقِ شَيْئًا

* * * *

وَإِذَا الْخُلُقُ كَانَ عِقْدًا وَدَادَ
 لَمْ يَنْلُ مِنْهُ مِنْ وَشَى وَتَجَنَّى^(٢)

* * * *

وَأَسْنَخْ فِي الشَّدَّةِ وَازْدَدْ فِي الرَّخَاءِ
 كُلُّ خُلُقٍ فَاضِلٍ دُونَ السَّخَاءِ^(٣)
 وَتَجَنَّبْ كُلَّ خُلُقٍ لَمْ يَرْقُ
 إِنْ ضَيَّقَ الرِّزْقَ مِنْ ضَيْقِ الْخُلُقِ

* * * *

(١) الشوقيات ١٨٤/٣ .

(٢) الشوقيات ٢١/٤ .

(٣) الشوقيات ٤١/٤ .

جعلوا التعاونَ والبنيةَ هَمَّهُمْ
واستنهضوا الآدابَ والأخلاقاً (١)

• • • •

على الأخلاق خُطُّوا المملكتُ وابنوا
فليس وراءها للعزَّ ركنٌ (٢)

موقع الدكتور عايض الرادادي
www.alraddadi.me

(١) الشوقيات ٨٠/٤ .

(٢) الشوقيات ١٩٧/٤ .

الفصل الثاني

الحروف في سحر سوني

إن الجانب المتدين لدي شوقي يوجد بجانبه جانب آخر ماجن ، ويظهر هذا الجانب فيما يلي :

١ - الغزل

٢ - الخمر والمراقص

١ - الغزل

والغزل عند شوقي نوعان :

أحدهما : الغزل التقليدي ، الذي يبدأ به قصائده على عادة القدماء ومن أمثلته ما افتتح به « ذكرى المولد »^(١) .
و « نهج البردة »^(٢) ، وهذا الغزل غزل تقليدي ، بدأ شوقي بعض قصائده به محاكاةً للسابقين ، فهو قنطرة للوصول للغرض الأصلي . وعلى هذا فليس هو من المعجون في شيء ، ولا يؤاخذ به شوقي قط ، ولا سيما أن مثل هذا الغزل قاله كعب بن زهير أمام الرسول (عليه الصلاة والسلام) ولم ينكره عليه .

وثانيهما : الغزل الذي أنشأه للغزل نفسه ، وترجمه لما يعتمل في نفسه من عواطف وأحاسيس . وسندرس هذا النوع أولاً ثم نحكم عليه أهو معجون أم لا ؟

معظم هذا الغزل في الجزء الثاني من الشوقيات^(٣)

(١) الشوقيات ٦٨/١ .

(٢) الشوقيات ١٩٠/١ .

(٣) الشوقيات ١٤٦-١١٢/٢ .

ولم يتخذ شوقي معشوقة واحدة اختص بها غزله ، بل
تنقل بين شتى المحبوبات :

فعلى خليج البسفور تمرّ به ظبية ، ويقع في شراك حبّها ،
فيترك قلبه وشأنه ، ويقول :

لَكَ أَنْ تَلُومَ ، وَلِي مِنَ الْأَعْدَارِ
أَنَّ الْهَوَى قَدَرٌ مِنَ الْأَقْدَارِ (١)

يا قلبُ ، شأْنُكَ ، لا أُمْدُكَ في الهوى
أبدأ ، ولا أدعوك للإقصار

أبدأ (فروق) من البلاد هي المنى
ومناي منها ظبيةٌ بسوار

خطواتها التقوى ، فلا مَرْهُوَةٌ
تمشي الدّلال ، ولا بذاتِ نِفَار

مَرَّتْ بنا فوق الخليج ، فأسْفَرَتْ
عن جَنَّةٍ ، وتلفتت عن نَارِ

في نسوةٍ يُورِدْنَ من شِئْنِ الهوى
نظراً ، ولا ينظرْنَ في الإصدار

(١) الشوقيات ١٢٦/٢ .

عارضتهنَّ ، وبين قلبي والهوى
أمرٌ أحاولُ كتمه وأداري

وأخرى هي فتاة العراق التي ضرب شوقي معها الموعد:

وفتاةٍ ما زادها في غريب السـ

حُسْنٍ إلّا غرائب الأخلاق ^(١)

ذقتُ منها حلواً ومرّاً ، وكانت

لذةُ العشق في اختلاف المذاقِ

ضربت موعداً ، فلما التقينا

جانبتي تقول : فيمَ التلاقي ؟

قلتُ : ما هكذا الموائيق ، قالت :

ليس للغانياتِ من ميثاقِ

عطفَتِها نحافي ، وشجاها

شافعٌ بادرٌ من الآماقِ

فأرتني الهوى ، وقالت : خَشِينَا

والهوى شعبةٌ من الإشفاقِ

(١) الشوقيات ١٣٣/٢ .

يا فتاة العراق ، أكتسب من أنس
س ، وأكيني عن حبكم بالعراق
ويحدثنا عن ظبيات الجزيرة وعشقه لإحداهن ،
فيقول :

وخميلةٍ فوقَ الجزيرة مَسَّها
ذهبُ الأصيل حواشياً ومتَّسِناً (١)
راعَ الظلامُ بها أوانسَ تَرْتَمِي
مثلَ الطباءِ من الرُّبَى يَهْوِينَا
عارضتُهُنَّ ولي فؤادٌ عُرْضَةٌ
لهوى الجآذِرِ دَانٍ فِيهِهِ وَدِينَا
فَنظَرْنَ لَا يَدْرِينَ : أَذْهَبُ يَسْرَةً
فِيحِدْنَ عَنِّي ، أَمْ أَمِيلُ يَمِينَا ؟
وَنَقْصَرْنَ مِنْ حَوَلي وَبَيْنَ حَبَائِلي
كَالسَّرْبِ صَادِفٍ فِي الرِّوَاكِ كَمِينَا
فَجَمَعَتُهُنَّ إِلَى الْحَدِيثِ بَدَأَتْهُ
فَغَضِبْنَ ، ثُمَّ أَعَدَّتْهُ فَرَضِينَا

(١) الشوقيات ١٤٠/٢ .

وسمعتُ مَنْ أهوى تقول لـتـربها
أحرى بأحمد أن يكون رزينا

قالت : أراه عند غايةٍ وجندهِ
فلعلَّ لبلى ترحم المجنونا

وفي قصيدة أخرى يقول أيضاً عن فتيات الجزيرة :

تعرّضتُ أعينُ منّا ، فعارَضنا
على الجزيرة سِرْبٌ من غوانيها ^(١)
مَشَتْ على الجسر ريماً في تلفُتِها .

لناظرين ، وباناً في تشهُها

عارضتها وضميري من محارمها
يتزوّر عن لحظاتي في مساريها

أعِفُّ من حلتِها عمّا يُجاوره
ومن غلائلها عمّا يُدانِها

قالت : لعلَّ أديب النيل يُحرجُنَا
فقلت : هل يُحرجُ الأقمار رائِها

(١) الشوقيات ١٤٥/٢ .

وأغنّ في لُبْنان أتى شوقي يزاحمه في الكنيسة ،
وعرف كيف يصطاده :

وأغنّ أكنحل من مَهَمّا «بِكفّية»

علقتُ محاجرهُ دمي وعلقتُهُ (١)

لبنانُ دارتُهُ ، وفيه كِناسُهُ

بين القنا الخطّار خطّ نَحيتِهِ

دخل الكنيسة ، فارتقبتُ فلم يُطل

فأتيتُ دون طريقهِ فزحمتُهُ

فازورّ غضباناً ، وأعرض نافرأ

حالٌ من الغيدِ الملاحِ عرفتُهُ

فصرفتُ تلُعابي إلى أترابهِ

وزعمتهنّ لُبّاني فأغرته

فمشى إليّ ، وليس أوّل جوذَرٍ

وقعتُ عليه حبائلي فقنصته

قد جاء من سحر الجفون فصادني

وأتيتُ من سحر البيان فصدته

(١) الشوقيات ١٥١/٢ .

وفي لبنان أيضاً (في زَحْلَة) تتعطل لغة الكلام ،
ويتخذ الأحباب لغة أخرى آلتها العَيْنَان ، تلك اللغة
لغة الهوى ، وهنا يكون بين المحبوبين تلاق وعناق ،
لشَم فَمٍ ووفاق ، ويجتمع لهما كل ما يتمنيَانِه حتى
كأن الزمان جمع في يوم واحد :

ودخلتُ في ليلين : فرَعِكَ والدُّجَى
ولثمتُ كالصُّبْح المنوِّر فَاك (١)

ووجدتُ في كُنْهِ الجوانح نَشْوَةَ
من طيب فيك ، ومن سُلَاف لِمَاكَ

وتعطَّلتُ لغة الكلام وخاطبتُ
عينيَّ في لغة الهوى عيناك

ومَحَوْتُ كُلَّ لبانةٍ من خاطري
ونسيتُ كُلَّ تعائبٍ وتشاكي

لا أميس من عمر الزمان ولا غمدٌ
جمع الزمانُ فكان يومَ رِضاكَ

وهكذا يجتذب شوقي قلوب الغواني في أيِّ مكان

(١) الشوقيات ١٧٩/٢ .

شاء ، لأنه شاعر يحسن الثناء ، وقلوب الملاح هواء ،
يُغريها الثناء :

خدعوها بقولهم : حسناءُ
والغواني يَغُرُّهن الثَّناءُ (١)

نظرة ، فابتسامة ، فسلامُ
فكلامُ ، فموعدُ ، فلقاء
يوم كُنَّا - ولا تَسَلْ كيف كُنَّا؟ -

نتهادي من الهوى ما نشاء
جاذبني ثوبي العَصِيَّ وَقَالَتْ
أَنْتُمْ النَّاسُ أَيُّهَا الشَّعْرَاءُ

فاتقوا الله في قلوب العذارى
فالعذارى قلوبهنَّ هواء

وإذا غضب عليه المحبوب سأله شرح السبب ،
وعزاه ليوأشٍ وشئ بينهما ، أو كاذب اختلق كذبه ،
يقول شوقي في قصيدة نظمها في وصف مرقص أقيم بسراي
عابدين سنة ١٩٠٤ م :

(١) الشوقيات ١١٢/٢ .

مالَ واحتَجَبَ وادَّعَى الغَضَبَ (١)

ليتَ هاجري يشرحُ السببَ

عَتَبُهُ رَضَى لَيْتَهُ عَتَبَ

عَلَّ بَيْنَنَا وَاشِئاً كَذَبَ

أَوْ مُفَنِّدَا يَخْلُقُ الرِّيبَ

ويذكر شوقي أنه مسهد بسبب هجران الحبيب فيقول :

لا السُّهْدُ يَطْوِيهِ وَلَا الْإِغْضَاءُ

لَيْلٌ عِدَادُ نَجُومِهِ رُقَبَاءُ (٢)

أغزالةَ الإِشْرَاقِ ، أَنْتَ مِنَ الدُّجَى

وَمِنَ السُّهَادِ إِذَا طَلَعْتَ شِفَاءَ

ومع أن شفاء الشاعر في طلعة الحبيب إلا أن حبيبة

يسرف في الهجران :

عَلِّمُوهُ كَيْفَ يَجْفُو فَجْفا

ظالم لا قَيْتُ مِنْهُ مَا كَفَى (٣)

(١) الشوقيات ١٤/٢ .

(٢) الشوقيات ١١٢/٢ .

(٣) الشوقيات ١٣٢/٢ .

مسرفٌ في هجره ما ينتهي
 أتُراهم علّموه السّرْفَا ؟
 جعلوا ذنبي لديه سهّري
 ليت بدّري إذ درَى الذنب عفا
 ويعده محبوبه بالوفاء بوعدهِ بالفاظ حلوه يكادُ يُقبَلُ
 فاه لأجلها ويستعجله الوفاء بالوعد فيقول :
 حلّوْ الوعود ، متى وفاك ؟
 أتُراك مُنجزَها تُراك ؟ (١)
 من كلّ لفظٍ لو أذِنَ
 ستَ لأجله قبَلْتُ فاك
 أخذ الحلاوة من ثنا
 ياك العذابِ ، وعن لَمّاك
 ظلماً : أقول جَنِي الهوى
 لم يَجُنِ إلا مُقلَّتاك
 غَدنا منيَّةً من رأيتُ
 ستَ ، ورُحْتَ منيَّةً من رآك

(١) الشوقيات ١٣٣/٢ .

وقد يظفر ببغيته فيروي ظمأه ، وينسي كلّ تعاتبٍ
وتشاكٍ :

ودخلتُ في ليلين : شعرك والدُّجي
ولسّمتُ كالصُّبحِ المنورِ فاكٍ ^(١)

وهو يدعو قلبه لإيفاء الشبيبة حقها فأخر العمرُ
مُنَغَّصٌ بالمشيب :

يا قلبُ ، شأنك ، لا أمدُّك في الهوى
أبدأً ولا أدعوك للإقصارِ ^(٢)

جارِ الشبيبة ، وانتفع بجسوارها
قبل المشيب ، فماله من جار
مَثَلُ الحياة تُحَبُّ في عهد الصِّبا

مَثَلُ الرياض تُحَبُّ في آذار
ويدعوا الشباب أيضاً أن ينعموا أنفسهم في الشباب ؛
لأن ساعته قصيرة :

واقضُوا الشباب ؛ فإنّ سا
عته القصيرة فانيّة ^(٣)

(١) سبقت الأبيات ص ١٨٩ من هذا البحث .

(٢) الشوقيات ١٢٦/٢ .

(٣) الشوقيات ٧٠/٤ .

والله لا حَرَجٌ عَلَيْنَا
يَكُفُّمُ فِي حَدِيثِ الْغَانِيَةِ
أَوْ فِي اشْتِهَاءِ السُّحْرِ مِنْ
لَحْظِ الْعَيْنِ السَّاجِيَةِ
أَوْ فِي الْمَسَارِحِ فَتَهَيَّ بِالذَّ
نَفْسِ اللَّطِيفَةِ رَاقِيهِ

* * * *

وتمضي سويعات الشباب ويكتسي شوقي بثوب
المشيب فماذا فعل في هذا الطّور ؟

الذي فعله هو البكاء على الشباب، والوفاء لخلقه ،
لأنه وفِّي :

يَا مَنْ أَحَبُّ ، وَمَنْ أَجَلُّ ، وَحَسْبُهُ

فِي الْغَيْدِ ، مَنَزَلَةٌ يُجَلُّ وَيُعَشَّقُ^(١)

فِي جَاهِ حُسْنِكَ ذِلَّتِي وَضُرَاعِي

فَاعْطِفْ ، فَذَاكَ بِجَاهِ حُسْنِكَ أَلِيقَ

خَلَقْتُ الشَّبَابَ ، وَلَا أَزَالُ أَصُونُهُ

وَأَنَا الْوَفِيُّ ، مَوَدَّتِي لَا تَخْلُقُ

(١) الشوقيات ١/١٦١ ، ١٦٢ .

صاحبته عشرين غير ذميمة
حالي به حال ، وعيشي مونسق

قلبي ، اذكرت اليوم غير موفق
أيام أنت مع الشباب موفق

فخفقت من ذكرى الشباب وعهده
لهفي عليك ! لكل ذكرى تخفقت

كم ذُبت من حرق الجوى ، واليوم من
أسف عليه وحسرة تتحرق

كنت الشباك ، وكان صيداً في الصبا
ما تسرق من الظباء وتعتق

خدعت حبايلك الملاح هنية
واليوم كل حيلة لا تعلق

هل دون أيام الشبية للفتى
صفو يحبط به ، وأنس يُحْدق ؟

ومهما نسي شوقي فلن ينسى أنس الشبية وسوالف
اللذات في فروق (الآستانه) :

مني لعهدك يا (فروق) نحيّة
 كعيون مائك ، أو رُبّي واديلك ^(١)
 إن أنسّ لا أنسّ الشبيبة ، والهوى
 وسوالف اللذات في ناديلك
 ولياليا لم ندر أين عشاؤها
 من فجرها لولا صباح السديك
 ويسترجع ذكرياته في غاب بُولُونِيَا بفرنسا ، فيقول :
 يا غاب بُولُون ، ولي
 ذِمَمٌ عليك ، ولي عهد ^(٢)
 زَمَنٌ تقضّي لِهَوَى
 ولنا بظلالك ، هل يعود ؟
 حلُمٌ أريد رجوعه
 ورجوع أحلامي بعيد
 وهب الزمان أعادها
 هل للشبيبة من يُعيد ؟

(١) الشوقيات ١٦٦/١ .

(٢) الشوقيات ٢٧/٢ .

ولكن مهما استرجع شوقي لسالف أيامه ، فإنَّ ودَّ
الغواني أبعد من الشباب ، فشرخ الشباب - أبداً - عندهنَّ
عجيب :

الرُّشْدُ أجمل سيرة يا أحمدُ

ودَّ الغواني من شبابك أبعدُ ^(١)

قد كان فيك لودَّهنَّ بَقِيَّةُ

واليوم أوْشَكَتِ البَقِيَّةُ تَنْفَدُ

.....

وأخيراً يذكر شوقي أنه عفيف صان الأدب في
حبِّه ، فيقول :

لي حبيبٌ كلِّما قيلَ له

صَدَّقَ القول ، وزكَّى الرَّيْبَا ^(٢)

كذب العُدَّال فيما زعموا

أَمَلِي في فاتِنِي ما كَذَّبَا

لو رأونا والهوى ثالُثُنا

والدُّجِي يُرْخِي علينا الحُجُبَا

(١) الشوقيات ١١٨/٢ .

(٢) الشوقيات ١١٦/٢ .

في جوار الليل ، في ذمته
نُدْكِر الصبح بأن لا يقربا
مِلْءُ بُرْدَيْنَا عَفَافٌ وهوى
حَفِظَ الحسَنَ وصننتُ الأدبا

* * * *

بعد هذا العرض لغزل شوقي أتراه يُعَدُّ مجونا أم لا ؟
ذهب بعض الدارسين إلى أن شوقياً « في نسيبه لم يكن
ينطق عن عاطفة قوية صحيحة ، بل كان ينظر إلى النسيب
كفن خالص ، فهو الذي يقول :

فقلت للمجد أشعاري مسيرة
وفي غواني العلا لا في المهاوطني

وشأن شوقي شأن سواه من الشعراء المحدثين الذين
ينطقون بالغزل فنّاً لا عاطفة « (١) . بينما يرى آخر برود
عاطفة شوقي وجفافها نحو المرأة وإنما قال هذا الغزل
ليستر به ضعفه في هذه الناحية (٢) .

(١) الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي في كتابه « دراسات في الأدب
العربي الحديث ومدارسه » / ٥٠ .

(٢) حسن كامل الصيرفي في كتاب حافظ وشوقي / ١٧ وما بعدها.
وانظر أيضاً حياة شوقي لأحمد محفوظ / ١١٥-١١٦ .

والصحيح أن عاطفة شوقي في غزله صادقة ، تعبر
عن مشاعره التي تتأثر بالحسن أنى رآته ، ولو كان
الغزل مصطنعاً لرأينا فيه التكلف والصنعة التي تذهب
بجماله .

ولعلّه اختلط على بعضهم نوعاً الغزلِ لدي شوقي
فأصدروا حكماً عاماً على كلا النوعين ، دون أن ينظروا
أن غزل شوقي نوعان :

غزلٌ تقليدٌ للأقدمين في مطلع بعض القصائد ،
وغزلٌ معبرٌ عن مشاعره وأحاسيسه .

على أنَّ كُلَّ غَزَلٍ شوقي غَزَلٌ يتمشى مع الطبيعة
الإنسانية ، ولا يتجاوزها ، ومن هُنَا لا يُعَدُّ هذا الغزل
مجبوناً طالما أنَّه يجري على سُنَّةِ الله في خلقه ، فالرجل
والمرأة خُلِقَا وخُلِقَ معهما ميلٌ كُلٌّ منهما لصاحبه ،
ولو أنَّ شوقياً شَدَّ عن القاعدة وقال غزلاً من جنس
غزل أبي نواس الشاذَّ لَعُدَّ خارجاً على الطبيعة البشرية
وشاذّاً ، وماجناً في غزله .

نعم يؤخذ على شوقي دعوته للشباب أن يغتنموا فرصة
الشباب لإرواء نفوسهم من المتعة واتباع اللذات ، وما
سوى ذلك فليس في غزله مجون ، فكلُّنا نحبُّ الغزل ونقرأه

ونحفظه ، سيّما وأن غزلَ شوقي غزلٌ جارٍ على القاعدة
الطبيعيّة للبشر، وأخيراً يبدو من غزل شوقي أنه اغتنم
اللذات في شبابه وحال بينها وبينه اعراض الغواني عن
الشيوخ في شيخوخته ولم يجد أمامه سيلاً إلا ذكر عهود
الصبا والتباكي عليها .

الدكتور عايض الرادادي
موقع
www.alraddadi.me

٢- الخمر والمراقص

أقبل شوقي على وصف الخمر وافتنَّ فيه ، ووصف الليالي الراقصة التي يقيمها الخديوي في قصر عابدين ، وما يكون في تلك المراقص .

يقول في وصف مرقص أقيم سنة ١٩٠٣ بسراي عابدين :

طال عليها القِدم
فهي وجودٌ عَدَمٌ^(١)
قد وُئِدَتْ في الصُّبَا
وانبَعَثَتْ في الهَرَمِ
بالغَ فرعونُ في
كَرُمَتِهَا من كَرَمِ
أهْرَقَ عُنُقُودَهَا
تَقْدِمْةً للصنمِ

(١) الشوقيات ٩٢/٢ .

خَبَّأَهَا كَاهِنٌ
 نَاحِيَّةً فِي الْمَرْمِ
 اكْتُشِفَتْ فَاُمُحِتْ
 غَيْرَ شِذَاءٍ أَوْ ضَرْمِ
 أَوْ كَخِيَالِهَا
 بَعْدَ مَتَابِ الْمِ
 نَسَمٍ بِهَا دَنُّهَا
 وَهِيَ عَلَيْهِ أُنَمِ

ويرى شوقي شربها واجباً في تلك الليالي فيقول في
 وصف مرقص آخر أقيم سنة ١٩٠٤ م :

سَاقِي الطُّغْلَا شُرْبُهَا وَجَبَ (١)
 هَاتِيهَا مَشَّتْ فَوْقَهَا الْحِقَبِ
 بَا بَلِيَّةٌ تَنْفُثُ الْحَبَسِ
 إِنْ كَرُمَتْهَا آدَمُ الْعَيْنَسِ
 هُذَّبَتْ ، ففى دَنُّهَا الْأَدَبِ
 اسْقِهَا فَيَّ خَيْرَ مَنْ شَرِبِ

(٢) الشوقيات ١٤/٢ .

وفي وصف مرقص ثالث لم يؤرخ في الديوان يصفها
ويطلب من الساقى أن يخفّ بها ، ولا يذكره بعواقبها :

حَفَّ كَأَسْهَـا الحَبِّ
فَهِيَ فِضَّة ذَهَبٌ ^(١)
أَوْ دَوَائِرُ دُرٌّ
مَائِجٌ بِهَا لَبِّ
أَوْ فِمْ الحَيِّبِ ، جَلَا
عَنْ جُمَانِهِ الشَّنَبِ
أَوْ يَدٌ ، وَبَاطِنُهَا
عَاطِلٌ وَمُخْتَضِبٌ
أَوْ شَقِيقٌ وَجَتِيقٌ
حِينَ لِي بِهِ لَعِيبٌ
رَاحَةٌ النَفْسِ ، وَهَلْ
عِنْدَ رَاحَةٍ تَعِبٌ
يَا نَدِيمٌ ، خِيفَ بِهَا
لَا كِبَا بَلَّكَ الطَّرِبُ

(١) الشوقيات ٩/٢ .

لا تقل : عواقبها
فالعواقب الأدب
تنجلي ولي خلُق
ينجلي وينسكب

وإذا أقبل الربيع حياة شوقي ودعا ندماءه ليجلسوا
في روضة تتجاوب فيها الأوتار والأقداح :

أذارُ أقبل ؛ قُمْ بنا يا صاحـ

حيّ الربيع حديقة الأرواح (١)

واجمع ندامي الظرف تحت لوائه

وانشرْ بساحته بساطَ الرَّاح

صفوْ أريج ، فخذ لنفسك قِسطها

فالصفو ليس على المدى بمُتاح

واجلس بضاحكة الرياض مُصَفَّقاً

لِتجاوِبِ الأوتارِ والأقداح

واستأنِسْ من السَّقاءِ برُفْقَةٍ

غرّ ، كأمثال النجوم ، صباح

(١) الشوقيات ٢٢/٢ .

رَقَّتْ كُنُودُ الْمُلُوكِ خِلَالَهُمْ
وَتَجَمَّلُوا بِمَسْرُوعٍ وَسَمَاحٍ

وَاجْعَلْ صَبَوحَكَ فِي الْبُكُورِ سَلِيلَةً

لِلْمُسْتَجِيبِينَ : الْكَرَمِ وَالتَّفَاحِ

وإذا انتهى رمضان سعى المشتاقان إلى بعضهما بعد
أن حرَّما من التلاقي طيلة هذا الشهر ، وقد ضحكت
الخمير من السرور :

رمضانُ ولَّى ، هاتِها يا ساقِي

مشتاقَةً تسعى إلى مُشتاقٍ (١)

ما كان أكثرَه على الألفها

وأقلَّه في طاعةِ الخلاقِ

الله غَفَّارُ الذنوبِ جميعها

إن كان ثَمَّ من الذنوبِ بواقِ

بالأَمْسِ قد كُنَّا سَجِيئِي طاعةِ

واليومَ مَنْ العيدِ بالإطلاقِ

(٢) الشوقيات ٧٧/٢ ، ٧٨٠ .

ضَحِكتُ إِلَيَّ مِنَ السَّرُورِ ، وَلَمْ تَزَلْ
بَنْتُ الْكُرومِ كَرِيمَةَ الْأَعْرَاقِ

هَاتِ اسْقِنِيهَا غَيْرِ ذَاتِ عَوَاقِبِ
حَتَّى نُرَاعَ لَصِيحَةَ الصَّفِّاقِ
صِرْفًا مُسَلِّطَةَ الشُّعَاعِ ؛ كَأَنَّمَا
مِنْ وَجَنَّتَيْكَ تُدَارُ وَالْأَحْدَاقِ
حَمْرَاءُ ، أَوْ صَفْرَاءُ ، إِنَّ كَرِيمَتَهَا
كَالْغَيْدِ ، كُلُّ مَلِيحَةٍ بِمِذَاقِ
وَحْذَارٍ مِنْ دَمِهَا الزَّكِيِّ تَرْيِقُهُ
يَسْكُفِيكَ - يَا قَاسِي - دَمُ الْعِشَاقِ

* * * *

ويعتذر شوقي عن شربه للخمر بأعذارٍ شتى :

ففي المرقص المقام سنة ١٩٠٣ م بسرّاي عابدين يذكر
شوقي أنَّ فتاة تسأل أترابها عن شوقي الذي يشرب الخمر
ساهرًا ليلته ، فتجيبها بأنّه ربُّ القلَمِ وشاعرُ مصرِ العَلَمِ ،
ثمّ يعتذر عن شربها بأنّ عبوس الزّمان ألبّاهُ لذلك :

تَسْأَلُ أَتْرَابَهَا
مَوْمِنَةً بِالْعَنَمِ (١)
أَيُّ فَنِيٍّ ذَلِكُ —
— مِنْ الْعَرَبِيِّ الْعَلَمِ ؟
يَشْرِبُهَا سَاهِرًا
لِيلَتِهِ لَمْ يَنْتَمِ
قُلْنَ : تَجَاهَلْتَنِي —
ذَلِكَ رَبُّ الْقَلَمِ —
شَاعِرُ مِصْرَ الَّذِي
لَوْ خَفِيَ النَّجْمُ لَمْ
قُلْتُ لَهَا : لَيْتَ لَمْ
نُزِمَ وَلَمْ نُتَّهِمْ
عَاذَلْتِي فِي الطُّلَا
لَوْ أَنْصَفْتَ لَمْ أَلَمُ
إِنْ عَبَسَ الْعِشُّ لِي
عَذْتُ بِهَا فَاْبْتَسِم

(١) الشوقيات ٩٣/٢ .

يَشْرِبُهَا كَابِرٌ
بَيْنَ ضُلُوعِي أَشَمَّ

يَسْذُلُ ، إِلَّا النَّهْيَ
يَهْرِكُ ، إِلَّا الْخُرْمَ

يُكْنَسُهَا خُلُقَهُ
يَمْزِجُهَا بِالشَّيْءِ

يَمْنَعُهَا حَلَمَهُ
إِنْ دَفَعْتَهُ احْتِشَمَ

وَفِي وَصْفِ الْمَرْقَصِ الْآخِرِ يَقُولُ :
حَافَ كَأَسْهَى الْحَبَسِ
فَهِيَ فَضَّةٌ ذَهَبُ^(١)

رَاحَةُ النَّفْسِ ، وَهَلْ
عِنْدَ رَاحَةٍ تَعَبِ

وَفِي « رَمَضَانَ وَلَيَّ » يَقُولُ شَوْقِي : إِنْ عَذَرَهُ فِي
شَرِبَهَا هُمُومُهُ وَأَحْزَانُهُ ، وَعَالَمُ النِّفَاقِ الَّذِي يَعِيشُ فِيهِ :

(١) الشوقيات ٩/٢ .

لا تسقني إلاّ دهماقاً ، إنني
أستقي بكأسٍ في الهموم دِهاق^(١)

فلعلّ سلطان المدامة مُخْرِجِي
من عالمٍ لم يتحوّ غسيرَ نِفاق

ويقول في أخرى :

إذا ما الكأسُ لم تُذهِبْ همومي
فقد تبتّ يدُ الساقِي ، وتبّأ^(٢)

على أني أعفُ من احتساها
وأكرمُ من عذارى الدير شرباً

أمّا وصف ما يدور في مراقص قصر عابدين فقد
نقل لنا شوقي منه طرفاً في قصائده الثلاث السابقة في وصف
المراقص .

وما قاله شوقي عن شرب الخمر في تلك القطع الثلاث
صحيح ، كما يبدو من استعراض القصائد الثلاث .

(١) الشوقيات ٧٨/٢ .

(٢) الشوقيات ١١٦/٢ .

أمّا قصيدته « رمضان وليّ » فنلمح فيها أمرين :

١ - ظهور التناقض فيها في قوله :

ما كان أكثره على آلافها

وأقلّـه في طاعة الخلاقِ

٢ - أنه بدأ القصيدة بوصف الخمر محاكاة للأقدمين

في بداية قصائدهم بوصف الخمر ، فوصفُ شوقي للخمر في هذه القصيدة صلةٌ للوصول لتهنئة الخديوي بعيد الفطر .

هذان الأمران يدلّان دلالة واضحة على برود عاطفة شوقي في هذه القصيدة ، وأنّها لم تكن صادرة عن عاطفة صادقة . على أنّ شوقيّاً يعلم أنّه مذنب في شربه للخمر ، بدليل التماسه الأعذار ، ثم هو أيضاً ينصح العمّال بعدم شرب الخمر ؛ لأنّها رجس ، وطوبى للتائب عن شربها :

اهجروا الخمر تطيعوا الله

هـ ، أو ترضوا الكتابا^(١)

لأنّها رجسٌ ، فطُوبى

لامرئٍ كفّ وتابا

(١) الشوقيات ٩١/١ .

وفي موضع آخر يرى شربها شقاء :

وما العِشْقُ إِلَّا لَذَّةٌ ثم شِقْوَةٌ

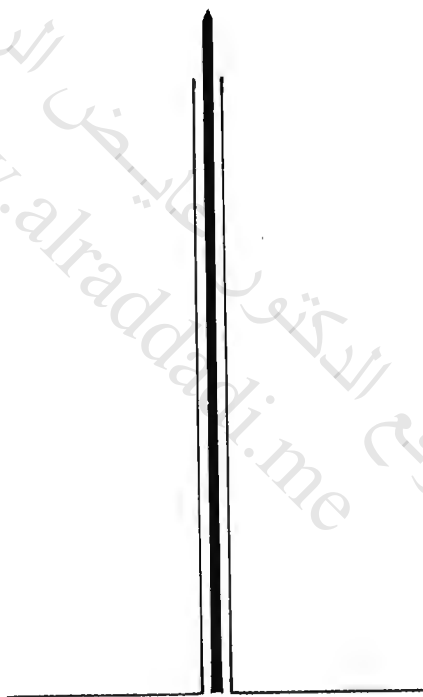
كما شَقِيَ المَخمورُ بالسُّكرُ صاحباً (١)

وسأتي تاريخ خمرياته ومناقشتها في الفصل الثالث .

موقع الدكتور عايض الراددي
www.alraddadi.me

(١) الشوقيات ١٤٦/٢ .

الفصل الثالث



مناقشات ونتائج

تاريخ المجون والتدين

أولاً : تاريخ المجون :

قلنا في حديثنا عن مجون شوقي : إنه ذو جانبيين :
أولهما : الغزل ، وقد وصلنا إلى أن غزل شوقي لا
يُعَدَّ مجوناً ، وقد سبق التعليل لذلك ^(١)

وثانيهما : الخمر والرقص ، وقد ظهر ذلك في القصائد
التالية :

١ - طال عليها القِدَمُ فهي وجودٌ عَدَمٌ ^(٢)

وقد نُظِمَتْ في مرقص بسراري عابدين سنة ١٩٠٣ م.

٢ - مال واحتَجَبَ وادَّعى الغَضَبُ ^(٣)

وقد نُظِمَتْ في مرقص مماثل سنة ١٩٠٤ م .

(١) انظر ص ١٩٨ من هذا البحث .

(٢) الشوقيات ٩٢/٢ .

(٣) الشوقيات ١٤/٢ .

٣ - حَفَّ كَأْسَهَا الْحَبَبُ

فَهِيَ فَضَّةٌ ذَهَبُ (١)

ولم تورّخ بالديوان .

٤ - وله قصيدة في الربيع والخمر مطلقا :

آذار أقبل قُسمُ بنا يا صاحـ

حيّ الربيعَ حديقة الأفرّاح (٢)

وقد نُشِرتْ في المجلّة المصريّة في ١٥ ما يو سنة ١٩٠٩ م ص ٥٣٦ (٣)

٥ - قصيدة «رمضان ولّي» ولم أعثر على تاريخ لها ، ولكنها قطعاً قبل النفي لأنّه يُهنّئ فيها الخديوي بعيد الفطر ونحن نعلم أنّه بعد النفي لم تعد له صلة بالقصر (٤) .

وإذا عُدنا إلى تاريخ نفي شوقي وجدناه سنة ١٩١٤م ، وهذا التاريخ يدل على أنّ خمريّات شوقي - ما عُرِفَ

(١) الشوقيات ٩/٢ .

(٢) الشوقيات ٢٢/٢ .

(٣) نقلا عن « شوقي شعره الإسلامي » لماهر فهمي .

(٤) انظر ص ٢١٠ من هذا البحث .

تاريخها وما لم يعرف - كُلتها قبل النفي حين كان يعيش في القصر ، أمّا بعد عودته من المنفى فقد هَجَرَ هذا اللّحن .

وإذن فخمريّاته الماجنه كانت في فترة ما قبل النفي ، لكنّ قصيدته التي يحذّر فيها العُمّال من شرب الخمر وأنها رجس نُشرت في الأهرام في سبتمبر سنة ١٩٢٣ م . فهي متأخرة عن قصائد المجون ^(١) .

ثانياً : تاريخ التدين :

قال شوقي قصيدته « كبار الحوادث في وادي النيل » التي ابتهل فيها إلى الله وعظّمه سنة ١٨٩٤ م ، و « ضجيج الحجيج » سنة ١٩٠٤ م ، و « نهج البردة » سنة ١٩١٠ م ، و « إلى عرفات الله » سنة ١٩١٠ م ، و « ذكرى المولد الأولى » سنة ١٩١١ م ، و « مرحباً بالهلال » سنة ١٩١١ م و « الهزيمّة النبويّة » سنة ١٩١٢ م ، و « ذكرى المولد الثانية » سنة ١٩١٤ م وأرجوزة « دول العرب وعظماء الإسلام » في منفاه بالأندلس (من ١٩١٤ - ١٩١٩ م) . وآخر قصيدة قالها في الخلافة سنة ١٩٢٦ م ^(٢) وليس هذا

(١) سبقت أبياته في الخمر في هذه القصيدة ص ٢١٠ من هذا البحث ، والتاريخ الذي أثبتناه منقول عن « شوقي : شعره الإسلامي » لماهر فهمي ٢١٥ .

(٢) انظر ص ١٥٠ ، ١٥٤ ، ١٦٢ من هذا البحث .

كلَّ شعر شوقي الإسلامي ولكنه أهمته ، وهكذا « كثيراً ما غنىَّ بشعر ديني في شبابه ورجولته وكهولته ، قبل أن ينفى ، وفي سنوات النفي ، وبعد أن عاد من منفاه » ^(١) فيكون شعر التدين مسائراً لحياته كله .

أي الجانبيين أكثر

ومن نافلة القول أن نذكر بعد عرضنا لمظاهر التدين والمجون في شعر شوقي : إنَّ ما في ديوانه عن لذته ومتاعه قليل قلّة شديدة ، ومحدود بفترة زمنية معينة هي فترة ما قبل النفي ، ولم يستطع شعره اللاهي منافسة شعره المتدين لا من حيث الكم ، ولا من حيث العاطفة ، ولا من حيث الزمّن ؛ « لأنَّ شعره الديني تميّز بالكثرة بالقياس إلى قصائده اللاهية ، وتميّز بأنّه قرضه في فترات طوال من حياته » ^(٢) .

أول من أثار قضية المجون والتدين

أول من أثار قضية المجون والتدين في شعر شوقي — فيما أطلّعت عليه — الدكتور محمد حسين هيكّل في مقدّمة

(١) الإسلام في شعر شوقي لأحمد الحوفي ه .

(٢) الإسلام في شعر شوقي للحوفي ١٤ .

الشرقيّات^(١) ، إذ قال « وإنّك لتكاد تشعر حين مراجعتك أجزاء ديوانه — بعد أن يتمّ نشرها — كأنّك أمام رجلين مختلفين جدّاً الاختلاف لاصلة بين أحدهما والآخر ، إلّا أنّ كليهما شاعر مطبوع ، يصل من الشعر إلى عليا سماواته ، وأن كليهما مصري يبلغ حبه مصر حد التقديس والعبادة .

أمّا فيما سوى هذا فأحد الرجلين غير الرجل الآخر : أحدهما مؤمنٌ عامرٌ النفس بالإيمان ، مسلمٌ يقدّس أخوة المسلمين ، ويجعل من دولة الخلافة قدساً تفيض عليه شئونه وحوادثه وحي الشعر وإلهامه ، حكيمٌ يري الحكمة ملاك الحياة وقوامها ، محافظ في اللغة يري العربية تتسع لكل صورة ، ولكل معنى ، ولكل فكرة ، ولكل خيال .

والآخر رجل دنيا يري في المتاع بالحياة ونعيمها خير آمال الحياة وغاياتها ، متسامح تسع نفسه الإنسانية وتسع معها الوجود كلّهُ ، ساخر من الناس وأمانيتهم ، مجدّد في اللغة لفظاً ومعني .

وهذا الأزدواج ظاهر في شعر شوقي من أول شبابه إلى هذا الوقت الحاضر ، وإن كان لتأثره بالقديم الغلبة

(١) هي مقدمة الطبعة الأولى .

اليوم ، وكانت آثار الرجل الآخر لا تظهر اليوم في شعر شوقي إلا قليلاً» (١) .

ويقرر الدكتور هيكل ازدواج شخصية شوقي ، فيقول : «ففي شعره صورتان من صور الحياة تقوم كل منهما مستقلة ، كأنهما صاحبتها غير الآخر ، فأنت تقرأ :

حَافَّ كأسها الحبيب
فهي فضّة ذهب

أو تقرأ :

رمضان ولي ، هاتها يا ساق
مشتاقة تسعي إلى مشتاق

فتراك في حضرة شاعر مغرم بالحياة وبمتاعها ونعمتها ، شاعر تختلف روحه جد الاختلاف عن صاحب نهج نهج البردة التي مطلعها :

ريم على القاع بين البان والعلم
أحلّ سفك دمي في الأشهر الحرم

(١) الشوقيات ٦/١ .

وصاحب الهمزية الذي يقول :

ولد الهدى ، فالكائنات ضياء

وفم الزمان تبسم وثناء « (١)

ويقرّر الدكتور هيكل أيضاً تجاوزهما في نفس شوقي ، وقوة عاطفته في كل منهما ، فيقول : « وهذان الروحان ، أو هاتان الصورتان من صور الحياة تتجاوزان في نفس شوقي ، وتصدران عنها وهي في كلّ قوتها وسلطانها ، وأنت لذلك حين تقرأ القصيدتين الأوليين تمتلئ إعجاباً بالحياة ومتاعها ولذتها ، وحين تقرأ الثانية تكون أشدّ إعجاباً بكلمة الإيمان وروح الحقّ ورسالته ، وأنت لا تشعر في أيّ الحالين بضعف نفسيّ عند الشاعر دفع به إلى لبوس روح غير روحه ، بل أنت فيهما جميعاً يبهرك شوقي بقوة شاعريته الممتلئة حياة وخيالاً ، والتي تفيض بمتاع العيش فيضها بنور الإيمان » (٢) ويتساءل هيكل كيف جمع شوقي بين التدين والمجون ، ويعجب كيف يكون الأزواج في الشعر ، ثم يشرح السبب « . . . على أن لهذا الأزواج سبباً لم يكن مفرّ من أن يؤدي إليه ،

(١) الشوقيات ٧/١ .

(٢) الشوقيات ٧/١ ، ٨ .

ذلك أن شوقي كان في طبع شبابه رسول حياة ، كان
شاعر :

حَفَّ كأسها الحبيب
فهي فضّة ذهب

لكن هذا الشباب لم يكن في ملك نفسه ، فقد بعث
به الخديوي توفيق باشا ليتمّ علومه في أوربا ، وكان قبل
ذلك شاعراً متفوقاً ، وكان تفوّقه ككل شاعر شاب يرسل
القول كما تلهمه إياه نفسه . فلَمَّا عاد إلى مصر اتصل
بالأمير الشاب عباس حلمي باشا وصار كلمته ، ورأى
يومئذ صينواً له على العرش جعلته بروحه الشابة مقدماً
لا يهاب . ومع ما فوجيء به أول ولايته في حادث عرض
الجيش في السودان — مما اضطرّه للاعتذار — قد بقي
شبابه يدفعه إلى ما كان يندفع إليه جده إسماعيل من
مغامرة ، لكنّ قيام الاحتلال الانكليزي في مصر يجعل
الخصومة بينه وبينهم وليست بينه وبين الأتراك ، بل لقد
كان منظوراً إليه أكثر الأحيان بشيء غير قليل من العطف
في بلاد آل عثمان . لذلك كانت عواطفه متفقه وعواطف
المسلمين الذين كانوا بعد انتصار الأتراك يرون في الخليفة
الموثل الخير لأمم الإسلام جميعاً .

اتصل الشاعر الشاب بالأمير الشاب ، فحتم عليه ذلك أن يكون المعبر عن الميول والآمال الكمينية في نفوس المسلمين جميعاً ، لا في نفوس المصريين وحدهم ، وبذلك اجتمع في نفسه من أول حياته ميله للحياة ، وحبها ، وحرصه على المتاع بها ، مع إيمان المسلمين جميعاً وحرصهم على وحدتهم وعلى كياناتهم ، بإزاء الأمم الغربية التي تنظر إليهم بعين صليبية بحتة ، وكانت هذه الناحية التي تمثلها نفسه من ظروف الحياة ومن البيئة المحيطة به أكثر استيحاء لشعره من الناحية الأولى التي هي طبيعة نفسه ، فكان بذلك كالرجل القوي الذي يري وطنه في خطر ، ويصبح جندياً ، وجندياً باسلاً ، ويتفوق في كل مواقف الحرب ، ويصبح القائد الأعظم ، ولو أن وطنه لم يكن في خطر لرأيت صديق النعمة ، السعيد بها غاية السعادة ^(١) « وما دام أن الدكتور هيكل قد عزا ذلك إلى القصر فلا بُدّ من إعطاء لمحة عن صلة الشاعر بالخدوي .

صلة شوقي بالخدوي

ولد شوقي زمن الخديوي إسماعيل وسافر سنة ١٨٨٧ إلى فرنسا على نفقة الخديوي توفيق ثم عاد إلى مصر سنة ١٨٩١ م ، وقد توفي توفيق وخلفه عباس ، فأعرض

(١) الشوقيات ٨/١ ، ٩ .

عنه أولاً ثم عاد فقرّبه وجعله موضع ثقته وعاش شوقي في القصر شاعراً لعباس ، يحضر معه السهرات الراقصة في قصر عابدين « وشوقي بطبيعة صلته بالقصر مضطر إلى أن يصانع سياسته » ^(١) واتخذ بعض المؤلفين صلته بالقصر موضع غمز في وطنيته ، وأهم ما يؤيدون به دعواهم أنه لم يرث صديقه مصطفى كامل — وهو زعيم وطني — إلا بعد عام .

وقد دفع الدكتور أحمد الحوفي هذا الحيف عن شوقي فقال : « لكنّ الحقّ أن شوقي نشر مرثيته بعد وفاة مصطفى كامل باثني عشر يوماً لا بعام ولا بشهر ، فقد قرأتها في اللواء بتاريخ ٢٣ فبراير سنة ١٩٠٨ م ، لكنّ هنا سؤالاً آخر ، لماذا حبس شوقي عاطفته الحزينة فلم ينفس عنها في يوم الفجيعة ؟ ... ثم يشرح السبب فيقول « ... وإنما السبب — فيما أرى — أن عاطفة الحزن أحياناً تغل الشاعريّة ، وتشل التفكير ، وتطفئ على الإبانة ، فيضطر الشاعر إلى مهلة من الزمن يستجم فيها ، ويستعيد صوابه فيرثي أحبابه » ^(٢) أمّا بعد عودته من المنفى فقد أصبح بعيداً عن القصر ، ولم تعد له به أيّة صلة .

(١) حافظ وشوقي لحسن الصيرفي ٤٢ .

(٢) وطنية شوقي ٨٠/٧٩ .

مناقشة دعوي هيكل :

رحم الله الدكتور هيكل لقد فتح الباب لهذه القضية مع أن شعر شوقي الماخن لا ينافس شعره الديني للأسباب السالف ذكرها (١) وفي الحقيقة أن الدكتور هيكل خلط بين حياة شوقي وبين شعره ؛ لأنه كان يعرف عن حياة شوقي الشيء الكثير .

إن سلوك شوقي غير شعره ، كان يعيش في وسط معين ، ومن أسرة منعمة ، وتزوج بسيدة ثريته ، فكانت تلك الحياة لا تدفعه بأن يجلس في المحراب ، وإنما تدفعه لصالة اللهو ، أمّا شعره فكان يلقيه على الشعب المسلم ، وكانت حياة الشعب ذات صبغة إسلامية والخلافة مازالت قائمة آنذاك ، لذا كثر شعره الإسلامي والوطني كثرة لا يُقاس بها مجونه .

إذن سلوك شوقي شيء آخر غير شعره ، لكنّ الدكتور هيكل حكم على شوقي من خلال ما يعرفه من سلوكه ووجد في شعره شيئاً يؤيد هذا دون أن ينظر إلى الشعر الذي عدّه مجوناً من حيث قلته بالنسبة للجانب الآخر ، ودون أن ينظر للجوّ الذي أحاط بشعر المنجون ، فالشعر

(١) انظر ص ٢١٨ من هذا البحث .

الماجن كان في فترة ما قبل النفي ، ولم يكن إلا ارضاء
للخديوي عند احيائه لياليه الراقصة .

لكن شوقي لم يكن دائماً رهن إشارة الخديوي ،
يجاريه في كل أحواله فقد تخلف عن الخديوي حين حج
مع رغبة الخديوي في صحبته ، ولو كان لشوقي شخصية
مزدوجة لحجّ معه ارضاء للمسلمين ، ومن ثمّ تكون
له شخصيتان :

شخصيّة ماجنة لإرضاء ندمائه ، وأخري متدينة
لإرضاء المسلمين وتخلّفه عن الحج ليس إنكاراً له بل
كسلاً منه .

ثمّ لم خصّ شوقي بازدواج الشّخصيّة وفي الشعراء
من يرجع شعره الماجن على شعره المتدين — عكس شوقي —
ولم يُقلّ عنهم : إنّهم ذوو شخصيّة مزدوجة .

ويلتفت الدكتور أحمد الحوفي إلى مناقضة الدكتور
هيكل لنفسه فيقول « نلاحظ أول ما نلاحظ أن الدكتور
هيكل حينما أراد أن يُعلّل لازدواج شخصيته شوقي
ناقض الدعوى التي ادّعاها ، فهو يقول : إنه يجد في
شعر شوقي رجلين ، كلاهما شاعر مطبوع يصل من الشعر
إلى عليا سماواته ، ويقول : إنّ أحد الشاعرين مؤمن

عامر النفس بالإيمان ، والآخر رجل دنيا وهو واستمتع
بنعيم الحياة ، وأن هاتين الشخصيتين تتجاوران في نفس
شوقي ، ثم يعقب على هذا بأننا لا نشعر في أي الحالين
بضعف نفساني عند الشاعر دفع به إلى لبوس روح غير
روحه .

ثم يعود فيقول : إن شوقي لما صار شاعر الخديوي
حتم عليه اتصاله به أن يكون معبراً عن عوطفه ، وكانت
هذه العواطف متفقة وعواطف المسلمين الذين يرون في
الخلافة ملجأ المسلمين ، ومن هنا كان شوقي معبراً عن
آمال المسلمين كلهم . ويرتب الدكتور هيكل على هذا أن
شوقي كان يجتمع في نفسه ميله إلى الحياة وحرصه على
الاستمتاع بها ، وميله إلى التعبير عن آمال المسلمين وحرصهم
على وحدتهم وكيانهم ، ويرى أن هذا الميل المتأثر بظروف
حياته وبيئته أكثر استيعاء لشعره من الميل الأول النابع
من نفسه .

ومن هنا نستنبط أن الدكتور يناقض نفسه ، لأنه
يقرر مرة أن شوقي شاعر مطبوع يصل من الشعر إلى عليا
سماواته سواء في ذلك شعره اللاهبي وشعره الديني وأن
شعره الديني ينبىء عن تدين وإيمان ، ثم يعود فيقرر
أنه كان في شعره الديني يستوحى عواطف الخديوي

وعوطف المسلمين المتنفقين معه في عواطفه نحو الخلافة ،
ويقول : إن شوقي كان يستمد من هذا ينبوع أكثر مما
يستمد من ذات نفسه .

وليس من الطبيعي أن يصل شاعر إلى عليا سماوات
الشعر وهو لا يستمد من ذات نفسه . وليس من الصواب
أن ينبيء الشعر عن التدين والإيمان وهو غير نابع من قلب
الشاعر وإنما الطبيعي أن يتسم الشعر المتكلف بالزيف
والضعف ، لأنه ترجمة عن عواطف الآخرين التي لا
يشاركهم فيها الشاعر » (١) .

دعوي طه حسين :

يرى الدكتور طه حسين ازدواج شخصية شوقي –
كما يراها هيكل – ولكنه يزيد بأن من أسباب الازدواج
أن شعر شوقي في الجانبين (التدين والمجون) شعرُ صنعةٍ
يريد به أمير الشعراء تقليد الآخرين ، فيقول :

« ... والخرج ظاهر في مقدّمة هيكل كلها ، وإن
شئت فقل : إن المجاملة ظاهرة ، فأنا أراه يستغرق من
هذه المقدّمة جزءاً ليس بالقصير ليمسّط لنا رأياً في ظاهرة
وجدها في شعر شوقي وهي : أن شخصية الشاعر ثنائيه ،

(١) الإسلام في شعر شوقي ١٢-١٣ .

فهو مؤمن ، وهو محبٌ للحياة ولذتها ، أو قل : هو زاهد ومستمتع معاً .

وقد حاول أن يعلّل هذه الثنائية فكّد وجدّ ولعلّه وفّق ، ولكنّه أعرّض عن شيء كنت أحبّ ألاّ يعرض عنه ، أعرّض عن الصناعة الشعرية التي تُظهر للشعراء شخصيات مختلفة جداً ولا سيّما في أدبنا العربي العصري ، الذي لا يُمثّل نفس الأديب لأنّه ليس طبيعياً ، وإنما يمثّل تكلفاً ورغبته في إرضاء القراء ، فهو لاء الشعراء الذين ينظمون في الحكم والأخلاق إنما يريدون أن يتأثروا المتنبّي وأبا العلاء فشخصيتهم هذه الحية الزاهدة شخصية مصنوعة ، كما أنّهم حين يتغنّون الحمر ويتهاكّون على وصفها إنما يريدون أن يتأثروا أبا نواس والأخطل فشخصيتهم هذه الماجنة شخصية مصنوعة ، كما أنّهم حين يمدحون النبيّ إنما يريدون أن يتأثروا صاحب البردة ، فشخصيتهم هذه مصنوعة . وهم لا يسلكون طريقاً من طرق الشعر ، ولا يتعاطون فناً من فنون الشعر إلّا مقتادين مقلّدين ، فهم يصنعون شخصياتهم التي تراها في شعرهم ، وهم يخفون شخصيتهم الأولى التي فطرها الله ، وهم بهذا التكلف يحاؤون بينك وبين الوصول إليهم وفهمهم كما هم في حياتهم العادية .

ومن هنا كان من الحقّ على مؤرّخ الآداب ألاّ يغفلوا
في اتخاذ ما يصدر عن هؤلاء الشعراء مرآة لنفوسهم دون
أن يقدّر تأثير التكلف والتصنع والتقليد وتخلق الجمهور
والأفراد في هذه المرأة .

فازدواج الشخصية الذي يلمحه هيكمل في شعر أمير
الشعراء لا يدلّ في حقيقة الأمر إلاّ على أنّ أمير الشعراء
يقلّد المؤمنين والمُسْتَمْتَعِينَ كما يقلّد غيرهم من أصحاب
الشعر » (١) .

مناقشة الدعوي :

١ - يُعمّم الدكتور طه حكمه - كما هو الشأن
في كثير من أحكامه (٢) - فيدّعي أنّ أدبنا الحديث كلّّه
لا يمثّل نفس الأديب ، وليس طبيعياً ، وإنّما هو متكلّف
لإرضاء القراء .

والأحكام العامة غير مقبولة إطلاقاً لدى النقاد ، ثم
إن الدكتور طه لا يدعم رأيه بدليل ، فمن أين عرف
الدكتور طه أنّ كلّ أديب - مهما كان أدبه - في العصر

(١) حافظ وشوقي لطف حسين ١٤-١٦ .

(٢) منها مثلاً قوله في غير هذا المقام إنّ أبا نواس يمثل عصره .

الحديث كاذبٌ في عاطفته ، وغير معبرٌ عن شعوره ،
بل هو معبرٌ عن شعور الآخرين ؟!

الواقع أنّ عدم الإتيان بدلائل يأتي من تعميم الحكم ،
فلو كان الحكم على أديب واحد لكان من الممكن إقامة
دليل ، أمّا أنه على أدب عصر بكامله فهو شاقّ .

٢ - يقول الدكتور طه : إنّ الشعراء حين يتغنّون
بالخمر إنّما يريدون أن يتأثروا أبا نواس والأخطل ، وحين
يمدحون النبي (صلى الله عليه وسلم) إنّما يريدون أن
يتأثروا صاحب البردة .

إذا كان هذا صحيحاً - وهو أنّ الشاعر اللاحق
يتأثر السابق - تُرى من هو الشاعر الذي تأثره كلٌّ من
أبي نواس والبوصيري - مثلاً - وقد سبقهم كثير من
الشعراء في الخمريّات ، ومديح النبي الكريم ؟!

ولم تأثر شعراء العصر أبا نواس والبوصيري ولم
يتأثروا - مثلاً - عمر بن أبي ربيعة في غزله مع أنّ
غزله محبّبٌ للقرءاء أيضاً ؟ وهل المناسبة التي تختلط بعواطف
الشاعر فتتهيجها وتوجّعها وتدفعها للتعبير عمّا أحسّه
من مشاعر مقصورة على شاعر دون آخر ؟ بمعنى أنّ
عاطفة حبّ الرسول (صلى الله عليه وسلم) - مثلاً -

ما دامت قد امتزجت بشاعريّة البوصيري وهزتها ،
وجعلتها تُعبرٌ ، مقصورةٌ عليه ولا يمكن أن تتعداه إلى
آخر ، مع أنّ النبيّ (عليه الصلاة والسلام) يشعر بحبّه السابق
واللاحق ؟

والشعراء الذين افتخروا - قياساً على حكم الدكتور
طه - كلّهم عالة على عمرو بن كلثوم منذ الجاهلية ،
وأدبهم مصنوع ، وحتى أبي الطيّب في فخره بنفسه عالة
على عمرو بن كلثوم ؛ لأنه متأخر عنه ولم يُردّ إلا تأثره
ولو كان فخره فردياً وفخر عمرو قليلاً .

٣ - يقول الدكتور طه : إنّ الشعراء بهذا التكلف
يخفون شخصيّتهم التي فطرها الله :

سبقي الشعراء - بناء على هذا - بدون شخصيّة لأنّهم
إن قالوا في الحكمة قلنا تأثرتم أبا الطيّب ، وإن قالوا في
الخمير قلنا تأثرتم أبا نواس ، وإن مدحوا الرسول (عليه
الصلاة والسلام) قلنا : تأثرتم البوصيري وهكذا كلّ
غرض طرقة السابقون ويطرقه شاعر حديث يكون متأثراً
ولا شخصيّة له .

٤ - وما دام الشعر ليس مرآة لنفوس الشعراء ،
فمِنْ أين لنا أن نقف على نفوس هؤلاء الشعراء إذا كان
شعرهم الصادر عن تجسيدهم لشاعرهم لا يدلّ عليهم ؟

لو أن الدكتور طه قال — مثلاً — خمريّات شوقي
تملّقى ومجراة للخديوي لكان حكمه مقبولا ، أمّا أن كل
شعره مصنوع فهذا كلام لا يقوم عليه دليل . ثمّ هل
يريد شوقي تملّقى الخليفة العثماني بشعره والخليفة لا يفهم
شعره ؟

ومن الذي يريد أن يتملّقه بمدحه للرسول الكريم
(صلى الله عليه وسلم) ؟

إن كان جمهور المسلمين فهو يعيش في قصر الحكم
ولا يهتمهم رضاهم أو سخطهم .

كل هذا يوصلنا إلى أن حكم الدكتور طه يتسم
بالتعميم والمبالغة وعدم دعم القول بالدليل .

دعوي شوقي ضيف :

يقرر الدكتور شوقي ضيف « أنّه طبيعيّ في الفنانين
والناس جميعاً أن تكون لهم شخصيّة فرديّة ، وشخصيّة
اجتماعيّة ، فليس من الضروري دائماً أن يكون ما يواجه
به الفنان الجمهور هو عين ما يواجه به نفسه . وتتّسع
المسألة في الفنانين والشعراء ؛ لأنهم من ناحية يصوّرون
أنفسهم من حيث إنهم أفراد ، ومن ناحية أخرى يصوّرون

مجتمعهم وما به من نزعات ، وقد يسايرون هذا المجتمع ويخضعون له ، وقد يتمردون ويشذون عليه ، وهؤلاء هم المصلحون .

ولم يكن شوقي مصلحاً ، وإنما كان عبداً لمجتمعه وحياته الخارجية ، فطبيعي أن لا يكون سلوكه الفردي مماثلاً لسلوكه الاجتماعي ، فهو في منزله وحياته الخاصة يشبع مزاجه وميوله ، وهو في القصر والحياة الاجتماعية يشبع مزاج أميره وذوقه ، ويحاول أن يكسب مزاج الجمهور وذوقه ، فيؤلف له أغاني وأناشيد في تاريخه ونيله ، أوفى الخلافة والإسلام ، أوفى مدائح الرسول . . . وقد وقف محمد حسين هيكل عند هذه الناحية في مقدمته للطبعة الثانية من الشوقيات ، ولاحظ أن شوقي له شخصيتان مختلفتان في شعره تمام الاختلاف « (١) .

ثم يناقش الدكتور ضيف دعوي الدكتور هيكل قائلاً : « . . . ولستنا ندري ماذا يريد بالشخصيتين المختلفتين تمام الاختلاف : أما إن أراد ما يشيع في هذه الأيام بين النّفسيين عن قصة دكتور « جيكل ومستر هايد » وهما شخصيتان لشخص واحد ، تختلف كل منهما في

(١) شوقي شاعر العصر الحديث ٢٨ ، ٢٩ .

تصرّفها عن الأخرى تمام الاختلاف ، فإنه يكون مبالغاً ، بل يكون مخطئاً ؛ إذ أن المعروف بين النفسين أن كلاً من الشخصيتين لا تدري عن الأخرى أي شيء من تصرفها ، واختلاف شخصيتي شوقي ليس من هذا النوع النفسي قطعاً . إنما هو اختلاف عاديّ ، كما قدّمنا ، نجده عند كل الفنانين أو عند كثير منهم ، ممّن عرفنا حياتهم الشخصية وحياتهم الاجتماعية . . . »^(١)

« على أنّه ينبغي أن لا نرسل هذا الكلام لإرسالاً ، فإن حياة شوقي الخارجية كانت تسرّ دائماً حياته الشخصية الداخلية ، فما في ديوانه عن لذته ومتاعه قليل قلّة شديدة ، وكأنّ حياته الرسمية كانت تغطي أعصابها النبع كله في هذه الحقبة من حياته [ما قبل النفي] ، فكان من العسير أن تظهر مسارب لهوه . ولذلك يغلو هيكل حين يقيم المجموعتين من الحياة أو من الحصال متوازيتين مستقلّتين ؛ فإنّ الحصال المأجنة لا تكاد تظهر عند شوقي إلاّ ظهوراً باهتاً ضئيلاً نحيلاً ، وكأن حياة شوقي الشخصية وخصاله اللاهية تبعثرت في خضم الحياة الخارجية التي عاشها في القصر وعلى صفحات الصحف »^(٢) .

(١) شوقي شاعر العصر الحديث ٣٠ .

(٢) شوقي شاعر العصر الحديث ٣١ .

مناقشة كلام ضيف :

١ - ظاهر من كلام الدكتور شوقي ضيف أن ما سَمَّاه هيكَل بازدواج الشَّخصيَّة لَدَي شوقي خاصٌّ بما قبل النفي ، أمَّا بعد النفي فيصرح الدكتور شوقي ضيف بأنَّه لم يعد لشوقي شعر ماجن ويقول عن شوقي في منفاه « . . . ولم تَعُدْ الحياة سارة بهيجة مثل هذه الكأس التي وصفها بقوله : .

حَفَّ كأسها الحَبَبُ
فهي فِضَّةٌ ذَهَبُ

بل لقد حَفَّ الكأس دموعٌ غزَّارٌ وأَنَّت طوال .. » (١)

وهذا تخصيُّص لدعوى الدكتور هيكَل ، وأنَّ ما سَمَّاه بازدواج الشَّخصيَّة خاصٌّ بفترة ما قبل النفي ، أمَّا بعد النفي فلم يضرب شوقي على وتر المجون ، في حين استمرَّ يضرب على وتر الشعر المتدين - كما سبق إيضاح ذلك في تاريخ قصائد الماجنة والمتديِّنة (١) .

٢ - لكنَّ الدكتور ضيف يخلط هو الآخر بين سلوك شوقي وشعره ، فإنَّ صَحَّ أن لكل إنسان شخصيَّتين :

(١) شوقي شاعر العصر الحديث ٣٦ .

(٢) انظر ٢١٥ ، ٢١٧ من هذا البحث .

فردية واجتماعية ، فإنّ هذا في السلوك ومعاملة الناس ، وقد صرّح بهذا ضيف عندما قال : « فطبيعي أن لا يكون سلوكه الفردي مماثلاً لسلوكه الاجتماعي » .

ولو أردنا أن نطبّق كلام الدكتور على شعر شوقي الماजन لم ينطبق ؛ لأن الشعر الماजन لدى شوقي لم يقلّنه في بيته حتّى يكون فردياً بل قاله في القصر . ويقول الدكتور ضيف : « وهو في القصر والحياة الاجتماعية يشبع مزاج أميرة وذوقه ، ويحاول أن يكسب مزاج الجمهور لكودوقه » .

وبناء على هذا يكون كلّ شعر شوقي (الماजन والمتدين) اجتماعياً لأن كلا الشعرين لم يقل في المنزل ليكون فردياً بل قيل خارج المنزل (في القصر) فهو إذن اجتماعي .

ثمّ ماذا يهمّ شوقي من رضا الجمهور أو سخطهم وهو الذي يعيش في قصر الملّك حتّى يقول لهم شعراً دينياً .

دعوي أخرى لشوقي ضيف :

أنكر الدكتور شوقي ضيف الدّاتيّة في شعر شوقي فقال « . . . فشوقي ليس من الشعراء الأثيرين الذين تنطبع في شعرهم حياتهم الخاصة ، وإنما هو من الشعراء الغيرين

إن صحَّ هذا التعبير ^(١) ، قد وهب فنَّه وشعره لا لنفسه وإنما لغيره ، ولكن من يكون هذا الغير بعد الحديوي عباس ؟ لقد ظلَّ بإسبانيا نحو خمس سنوات وهو في تيه من الحيرة ، لا يدري بمن يربط شعره ، ولذلك قلَّ شعره هناك قلَّة شديدة ، فلما رجع إلى مصر ، ووجد الشعب المصري قد نهَض من كبوته ، ونفض الغبار من عينيه ، وبدأ خطأً مستقيماً نهضة مباركة ، أحسَّ أنه وجد القطب الذي يربط به نفسه ، فعاش في هذه الحقبة يختلط به في النوادي والأسواق ، ويحاول أن يعبرَ عن حياته ومشاعره . وإذن فمن الوجهة العامة احتفظ شوقي بعد رجوعه من المنفى بخاصته الفنيَّة المميَّزة له ، وهي أن يكون شاعر غيره . كان شاعر عباس ، فأصبح شاعر الشعب المصري بل شاعر الشعوب العربيَّة كلّها ، ينبض قلبه بأحلامها وآمالها ، وما تكون فيه من جهاد وثورات ، أمّا نفسه فإنَّه لم يفرغ لها قدراً ولا حديثاً ، إذ كانت طبيعته الفنيَّة تقتضيه أن يخضع لغيره في صنع شعره ^(٢) ويقول في موضع آخر :

(١) هذا التعبير غير صحيح فقد نص اللغويون هل عدم جواز تعريف غير بآل .

(٢) شوقي شاعر العصر الحديث ٤٠ .

« ... على أنه ينبغي أن لا نبالغ في تصوّر نزعته الدينية ، ونظنّها نزعة صوفيّة فيه ، فقد كان يُغنيّ الجماعة الإسلاميّة بهذا ونحوه .

والحكم على شوقي في كل ما يتّصل بنفسه وذاتيّته من أخطر الأشياء ، إذ خلّق كما قلنا في غير هذا الموضع ليكون شاعراً غريباً لا شاعراً ذاتياً ، وساقته الظروف إلى ذلك ، ساقتهُ وظيفته في القصر ، وساقته رغبته في الشهرة ولقاء الجمهور واستمالته ، وساقه ذلك كلّهُ لينكر نفسه الأولى التي كانت تصف الرقص ، والتي كانت تنظم مثل « حَفُّ كأسها الحب » ويعيش متجاهلاً لها شاعراً بسيطرة نفوس أخرى ، يغنيها ويصدح من أجلها .

ليس معنى ذلك أننا نقلل من شاعريّته أو عبقريّته ، بل على العكس نعدّ ذلك آية نبوغه ، فهذا الشعر الديني وهذا النغم الإسلامي الذي يطربنا عنده ، والذي نزع أنه لا يغني فيه نفسه ولا عواطفه أولاً إنّما يغني عواطف المسلمين قبل كل شيء ، لم يُسَخَّ لشاعر امتلاً بالعواطف الدينية الإسلاميّة ممن عاصروه أن يبلغ مبلغه فيه أو يتفوق تفوقه ولعل أكبر دليل نسوقه على أن هذا الشعر الديني عنده أراد به الجمهور قبل أن يريد به نفسه أنّنا نجده يعني في شعره بالمسيحيّة لسبب بسيط وهو أن قرّاءه في العربيّة

لم يكونوا جميعاً مسلمين ، بل كان منهم المسلم ومنهم المسيحي ، لذلك كان يقف من المسيحية موقف المعتد بها ، المؤمن بتعاليمها ، وكان لا يزال يشيد بالمسيح حتي في تركياته ، وحين ينهزم الترك أمام الدول البلقانية المسيحية فإنه يستلّ المسيح من هذه الدول ، وييرثه هو وتعاليمه منهم ... ولكن بين هؤلاء الناطقين بالضاد من هو مسيحي ، ويريد ألاّ يؤذي شعوره ، وأن يجعله راضياً عنه ، مقبلاً عليه ... فشوقي يغني المسيحيين كما يغني المسلمين ، وهو في هذا كله لا يغني عواطفه ، وإنما يغني عواطف الجماهير التي يعرض عليها شعره ونفسه.

مناقشة الدعوي (٢) :

١ - دعوى ممالأة الجماهير واستمالتها بالتعبير عن عواطفها صالحة لأنّ نتهم بها أيّ شاعر يجيد التعبير عن العواطف الاجتماعية ، وإن كان في الوقت نفسه معبراً عن عاطفته الفردية ، وهل كان حافظ إبراهيم في شعره السياسي والاجتماعي ، والشعراء الذين افتخروا بقصائدهم ، والمتنبّي في إشارات بسيف الدولة يتوخّون إرضاء الجماهير ولم يعبروا عن مشاعرهم ؟

(١) شوقي شاعر العصر الحديث ١٣٣-١٣٥ .

(٢) هذه المناقشة ملخصة من مناقشة الدكتور أحمد الحوفي في

كتابه « الإسلام في شعر شوقي » ١٦-٢٠ .

إننا نكون مُتَّجِنين على هؤلاء الشعراء إن اتهمناهم بذلك كما نتجنى على شوقي إن تناسينا صدقه في شعره الإسلامي والوطني ، وافترضنا أن الباعث لإرضاء الخديوي أو الجماهير .

وإن كان غرض شوقي لإرضاء غيره ترى من هو الذي قصد إلى إرضائه « بدول العرب وعظماء الإسلام » التي نظمها بالأندلس ، فليس هناك خديوي ولا جمهور مسلم ؟

٢ — وما ذنب شوقي إذا كانت العاطفة الاندينية مشتركة بينه وبين الخديوي ، وبينه وبين الجمهور ؟ فهو إذن فرديّ وغيريّ معاً ، وهو صادق في تعبيره عن نفسه وعن الجماعة التي يصله بها الدين والوطن .

٣ — ولقد يسترعي انتباهنا في هذه الدعوى أمران : أولهما : أنها شبيهة بدعوى الدكتور هيكمل التي ناقشناها من قبل .

وثانيهما : أنها محتاجة إلى تدليل .

ذلك أنه يقول : ينبغي ألاّ نبالغ في حكمنا على شوقي وعقيدته ، فنندفع إلى الإشادة بقوة إيمانه ، وشدة اعتصامه

بدينه ، فقد كان يغني الجماعة الإسلامية بهذا ونحوه «
ويقول: «خلق شوقي ليكون شاعراً غيرياً لا شاعراً ذاتياً،
وساقته الظروف إلى ذلك » . فمن أين له أن شوقي لم
يكن قوي الإيمان ؟ ومن أين له أن شوقي لم يكن شديد
الاعتصام بدينه ؟ وكيف يتهم شوقي بأنه كان
شاعراً غيرياً لا يصدر عن ذاته ولا يعبر عن عاطفته
بغير أن يدلل على هذا الحكم الخطير بأدلة حاسمة من
حياته ومن شعره ؟ » .

٤ — بقي أن آخر الاتهام لا يلائم أوله ؛ لأنه
يتهم شوقي بأنه لم يكن في شعره الديني يعبر عن عاطفته
الدينية ، وإنما كان يعبر عن عواطف الجماعة الإسلامية
ثم يقول : « وليس معنى ذلك أننا نقلل من شاعريته أو
عبقريته ، بل نعد ذلك آية نبوغه ، فهذا الشعر الديني ،
وهذا النغم الإسلامي الذي يطربنا عنده ، لم يتح لشاعر
امتلاً بالعواطف الدينية الإسلامية ممن عاصروه أن يبلغ
مبلغه فيه أو يتفوق تفوقه » .

ومعنى هذا أن شوقي — على تصنّعه وتكلفه — قد برع
في شعره الديني براعة لم تتح لأحد من معاصريه الذين
كانت قلوبهم تجيش بالعواطف الدينية . كيف عرف

أن أولئك الذين عاصروا شوقي كانت قلوبهم عامرة
بالعواطف الدينية ؟

إذا استدلت على ذلك من حياتهم ، استدلتنا من حياة
شوقي على أنه كان عامر القلب بالإيمان ؟ ^(١)

وإذا كان قد استنبط ذلك من شعرهم ، فكيف
كانوا صادقي الشعور ولم ينبغوا نبوغ شوقي وهو مدخول
الشعور ؟ ومن أين له أن شوقي لم يكن صادقاً في قصائده
الدينية ، على حين كان معاصروه هؤلاء صادقين ؟
لقد كان الانصاف يقتضي أن تعقد موازنات بين ما قاله
شوقي وما قاله معاصروه لتستبين الدعوى وتصدق ،
لأنها بهذه الصورة يعوزها الدليل ؟

٥ — لم يشد شوقي بالمسيح (عليه السلام) لإرضاء
المسيحيين بل لأنه مسلم لا يكتمل إيمانه إلا بالتصديق
بالمسيح (عليه السلام) كما نصّ على ذلك القرآن الكريم .

(١) مما روى عن شوقي أنه يحب دعوات أمه له ، وقد عزا وجود
منزله كما ذهب عنه بعد عودته من المنفى إلى لوحة كتب عليها « لا إله
إلا الله محمد رسول الله » ، وقد نهر ولده حسين واشتد عليه حين تعرض
للدين ، ويذكر سكرتيره أنه كان يسأله يوم وفاته عن آيات التوبة في
القرآن الكريم .

ولم يؤمن بما آمن به النصاري من صلب المسيح ،
وغيره من عقائدهم ^(١) وهل قصد بشعره في موسى
(عليه السلام) إرضاء اليهود مع أنهم ليسوا جمهوراً
في قرائه ؟

الحق أنه لم يقصد بكل ذلك إلا التعبير عن عواطفه .

ولكن ما سرّ التردد ؟

حاول الدكتور ما هر حسن في كتابه «شوقي : شعره
الإسلامي » أن يصل إلى سرّ التردد بين المجنون والتدين
في شعر شوقي بهذا السؤال ، ^(٢) ثم طرح هذه الأسئلة :

« ١ - أكان شوقي رجلاً صوفيّاً حديثه عن الخمر
والغزل حديث الصوفي عن العشق الإلهي ؟

« ٢ - أكان هذا الشعر الديني شعر خداع لا يُمثّل
نفسية صاحبه ، إنمّا يريد الخليفة وتطلبه السياسة ؟

« ٣ - أم أن هذا الشعر الديني هو شعر التوبة قاله
الشاعر في أخريات حياته ؟

(١) انظر ص ٦٧ من هذا البحث .

(٢) انظر ص ٨٥ وما بعدها من هذا الكتاب .

٤ - أم ذلك هو الطابع العام لنفسية الأفراد في فترات النقالات الاجتماعية كالتى كانت في عصر شوقي .
ثم يجيب عن الأسئلة بأن شوقياً لم يكن صوفياً ؛ لأن حياته كانت أبعد ما تكون عن التصوف ، فهو رجل ثري ، وخلف بعده أملاً كثيراً كثيرة تباعد بينه وبين التصوف .
أما أن شعره شعر خداع فذلك مالا يؤيده شعره ، وقد بسطنا الحديث عن هذا عند كلامنا عن الخلافة في شعره (١) .

أما أن الشعر الديني كان شعر توبة فإن الدكتور ماهر فهمي يستبعد ذلك - مع اعترافه بأنه لم يقل شعراً في الخمر في آخر حياته - مستنداً إلى ما حدث به سكرتيه من شربه الخمر آخر حياته ، وأن شعره المتدين واكب حياته من أولها إلى آخرها ، وأنه حنّ في شيخوخته إلى أيام لوه في شبابه ، وخرج من ذلك بأن الناحية الدينية كانت تصاحب الناحية اللاهية طيلة عمره (٢) .

وينتهي كلامه بأن سرّ التردّد هو السبب الأخير وهو أن « التردّد هو الطابع العام لنفسية الأفراد في فترات النقالات الاجتماعية » .

(١) انظر ص ١٥٠ من هذا البحث .

(٢) انظر ص ٨٩ من الكتاب المذكور .

ثم يبسط الحديث عن التردد بين الحياتين : حياة
التدين التي كانت طابع الحياة العربية ، وحياة اللهو طابع
الحضارة الغربية الغازية، وينتهي إلى النتيجة التالية « والواقع
أن الأزدواج أو التناقض موجود في النفوس ولكن مهمة
الباحث رد هذا التناقض إلى أصوله . فشوقي كما قلت
رجلٌ مسلم موثمن إلاّ أنّه عاش في عصر نقلة اجتماعيّة ،
وعُرضت عليه اللذات عرضاً مغرياً وهو الشاعر الرقيق
الشعور، السريع التأثير ، فكان ما لا بد أن يكون وهو أن
يفقد الزمام أمام لذّته » (١) .

وقبل أن نناقش كلام الدكتور فهمي نودّ أن نورد
ما قاله في كتابه الآخر « أحمد شوقي » إذ يقول : « لقد
فحصت أبالك بالأمس يا حسين ووجدت الوهم يسيطر
عليه أكثر مما يسيطر عليه المرض ، وذلك هو السرّ البعيد
وراء كثير من الظواهر المتناقضة في تصرفاته ، تلك التي
تبدو للمحيطين به شاذة فيفسّرونها بأنّ الرجل ذا (كذا
بالنصب) شخصيّة مزدوجة (ثم ينقل كلام الدكتور
هيكل) - ولكنّ هذا يكاد يبدو صحيحاً فأنت تراه
في الحياة اللاهية فتحسّ أنّه ينغمس في ملاذ دنياه ولا
يعيش إلاّ من أجلها ، ولعلّ هذا واضح في شعره

(١) شوقي : شعره الإسلامي ٩٩ .

مثل قصيدته « حَف كَأْسِهَا الْحَبِيب » ، ثم تَرَاه في مواقف أخرى وقد استبدَّ به الشعورُ الديني . . . وشعره ناطق بهذه المشاعر العميقة ، وعلى الأخص في مدائحه النبوية ففيها الضراعة والندم ، وحتى في لذته فإنَّ ضميره الديني لا يدعه يهنأ باللذة الخالصة ، فعندما يقول : « رمضان ولّى هاتها يا ساقى » « ما كان أكثره على أَلأفها » يقول : « وأقلّه في طاعة الخلاقِ » .

— إنه يخاف الله بدلاً من أن يحبّه ، ويخاف فقدان اللذات فيفني فيها ، ولو أحبَّ الله بدلاً من أن يخافه لأحبَّ الحياة بدلاً من أن يخاف فقدانها .

مناقشة كلام ماهر فهمي :-

وصل الدكتور ماهر فهمي إلى أنَّ سرَّ التردّد لدى شوقي يرجع إلى الطابع العام لنفسية الأفراد في عصر النقالات الاجتماعية ، بينما رآه في كتابه الآخر عقدة الخوف الذي سيطر على شوقي ، وقد نفى أن يكون سرّ التردّد صوفية شوقي أو خداعه أو توبته في آخر حياته ، وكلامه يحتاج إلى مناقشة :

١ — أمّا أنَّ شوقي ليس صوفياً ولا خادعاً في شعره فهو كلام صحيح وأدلته قوية .

أما أنَّ شعره الديني ليس شعر توبة بدليل مواكبته
لسنَّ شوقي فهذا صحيح ، لكن أليس عدم وجود شعر
لشوقي في الخمر بعد نفيه — وهو ما اعترف به — دليلاً
على أنَّ شوقي قد تاب ورجع عن شعر المجون في آخر
حياته ، فضلاً عن أنَّ شوقي حدَّر من الخمر ووصفها
بأنها رجس في آخر حياته ^(١) ، وما رواه سكرتيره من
شربه للخمر خبر قابل للصدق والكذب . وما لشوقي من
حنين إلى أيام شبابه لم يحنَّ فيه للخمر وإنما حنَّ إلى أيام
حبّه ، وقد قلنا : إن غزل شوقي لا يعدّ مجوناً .

٢ — وقوله : إنَّ التردّد هو الطابع لنفسية الأفراد
في فترات النقالات الاجتماعية ، ليس خطأ في مجمله ،
ولكن لمَ لم يظهر هذا التردّد إلاّ عند شوقي ؟ لمَ لم
يظهر عند حافظ مثلاً .

وليس صحيحاً أنَّ الناحية اللاهية كانت تصاحب
الناحية المتديّنة طيلة عمره ، فالناحية اللاهية الحقّة لم يعد
لها وجود في شعر شوقي بعد نفيه .

(١) انظر ص ٢١٠ من هذا البحث .

٣ - ونحن نرى أن المؤلف في كتابه الأخير المطبوع سنة ١٩٦٩ م^(١) لم يذكر هذه الأسباب ، بل جعل سرّ التردّد هو عقدة الخوف والوهم المسيطر على شوقي فهو يخاف الله ويخاف فقدان اللذة فيفني فيها .

وكلامه في الكتاب الأخير يناقض كلامه في الكتاب الأوّل ، فسرّ التردّد في الكتاب الأوّل تردّد الناس بين حياتين : جديدة وقديمة ، وتردّد شوقي في شعره نتيجة لتردّده بين الأخذ بالحياة الجديدة أو المحافظة على الحياة القديمة ، بينما السرّ هنا عقدة الخوف المسيطرة على شوقي .

وفي الحقيقة أن عقدة الخوف لا تظهر في خمريات شوقي سوى في قصيدة « رمضان ولّي » أمّا بقيّة خمريّاته فلا يظهر فيها شيء من ذلك . ولعلّ ما رآه المؤلف أخيراً - وهو عقدة الخوف - أقرب إلى الصواب مما رآه أولاً ، فنحن نرى أن خوف الله تغلب على خوف فقدان اللذة بعد نفى شوقي ، فهجر لحن المجون وبقي لحن التدين إلى أن توفاه الله .

(١) طبع كتاب « شوقي شعره الإسلامي » سنة ١٩٥٩ م بينما طبع كتاب (أحمد شوقي) في سلسلة أعلام العرب سنة ١٩٦٩ م .

نتيجة البحث :

وصلنا في نهاية حديثنا عن المجون في شعر شوقي إلى أنَّ الغزل لا يعدّ مجوناً بنوعية السابقين : ما افتتح به قصائده محاكاة للسابقين وما قاله تعبيراً عن مشاعره ؛ إذا المقصود بالأوّل مجرد محاكاة الشعراء السابقين في افتتاح قصائدهم بالغزل ، والثاني لم يخرج فيه شوقي عن الطبيعة البشرية كأبي نواس مثلاً فغزله بالمرأة فقط وهو شيء طبيعي ؛ فالرجل ميّال للمرأة ، والمرأة ميّالة للرجل ، وليس في تعبير أحدهما عن شعوره تجاه الآخر مجون ، أو خروج عن سنّة الله في خلقه . وقد دافعنا هناك عن اتّهام شوقي ببرود عاطفته نحو المرأة ، أو قوله للغزل على أنه فن ، وليست له فيه عاطفة ^(١) . أمّا الجانب الآخر من مجون شوقي فهو وصفه للخمر والمراقص . وقد عرفنا خلال عرضنا لتاريخها أنّها كانت مخصوصة بفترة ما قبل النفي ، وأنّها قيلت مجازة للخديوي ، أمّا حين ابتعد عن القصر وبعد أن عاد من منفاه فلم يضرب شوقي على هذا الوتر بل نجد ما يدلّ على توبته منه ، وهي إن لم تكن توبة عامة في شعره وسلوكه ، فهي توبة شعريّة وهي التي تهمننا هنا ؛ ذلك أن شوقياً حذّر العُمّال من شرب الخمر ،

(١) انظر ص ١٩٩ من هذا البحث .

وربط هذا التحذير بالدين ، وهي متأخرة عن جميع
خبرياته المأجنة (١) .

وإذا كان ما يُعَدُّ مجوناً من شوقي مخصوصاً بفترة
زمنية معينة ، وظروف محدّدة ؛ فإنّ تديّنَه في شعره لم
يختص بزمان محدّد بل قاله في جميع مراحل عمره : في
شبابه ورجولته وكهولته ، قبل أن ينفي وبعده ، وفي
سنوات النفي (٢) .

وقد ردّدنا دَعْوَى الدكتور محمد حسين هيكَل
بإزدواج شخصيّة شوقي ، بأنّ الدكتور هيكَل خلط بين
شعر شوقي وسلوكه ؛ إذ كان يعرف من سلوك شوقي
الشيء الكثير ، فحين وجد في شعره ظاهرتيّ التدين والمجون
قال بإزدواج الشخصيّة ، ولم يُمَعِّن النظر في الشعر الذي
عدّه مجوناً . فينظر إلى قلته بالنسبة للشعر الديني ، وإلى
الظروف التي أحاطت به ، وإلى تحديد فترته الزمنية (٣) .

ثم ناقشنا دعوى الدكتور طه حسين بأن كلا الشعريين
(المتدين والمأجن) لا يَدُلُّ إلاّ على أنّ أمير الشعراء يُفَسِّلِدُ

(١) انظر ص ٢١٠ ، ٢١٧ من هذا البحث .

(٢) انظر ص ٢١٧ من هذا البحث .

(٣) انظر مناقشة الدعوى ص ٢٢٥ من هذا البحث .

المؤمنين والمستمتعين^(١) ثم جئنا بكلام الدكتور شوقي
ضعيف على دعوي هيكمل ازدواج شخصية شوقي وناقشناه^(٢) .
وتلا ذلك قول الدكتور ضيف بأن شوقي شاعر غيري
لا يعبر عن ذاته ، وعقبنا هذه بالمناقشة أيضاً .^(٣)

وأخيراً محاولة الدكتور ماهر فهمي للوقوف على سرّ
تردد شعر شوقي بين المجنون والتدين ، في كتابينه «شوقي
شعره الإسلامي» و «أحمد شوقي» ، ومناقشة كلامه^(٤) .

وإنَّ العجب ليذهب بالإنسان كلَّ مذهب حين يجد
من المؤلفين من يقيم صلة بين مجنون شوقي ومجون أبي
نؤاس ، ولا أدري لمَ تقام هذه الصلة مع أنَّ الفرق
واضح بين الرجلين ؟

أبو نؤاس رجل متهالك في شعره على اللذة يطلبها
ويغرق فيها ، ولم تقتصر لذته على الخمر بل خرج على
الطبيعة البشرية بغزل فاحش ماجن كل المجنون .

أمّا شوقي فإنَّ مجونه يقتصر على الخمر في فترة زمنية

(١) انظر مناقشة الدعوى ص ٢٣٠ من هذا البحث .

(٢) انظر ص ٢٣٦ وما بعدها من هذا البحث .

(٣) انظر ص ٢٤٠ وما بعدها من هذا البحث .

(٤) انظر ص ٢٤٤ وما بعدها من هذا البحث .

محدّدة ، وقصائد معدودة ، أشرنا إليها عند الحديث عن تاريخ مجونه ^(١) .

وإذا تجاوزنا المجون إلى الشعر الإسلامي نجد النسبة ضئيلة بين شعر شوقي المتدين وشعره الماجن ، كما يبدو ذلك من عرضنا لأهم مظاهر التدين في شعره ، كما أنّ لشوقي القصائد الطوال في التدين وقلّ أن تخلو قصيدة له من تلميحات دينيّة . أما أبو نواس فإن شعره المتدين يقتصر على قطع يقولها عندما يعتريه التّدم لإغراقه في اللّذة . وهي لا تبلغ مبلغ قصائد شوقي كمّاً ولا كيفاً .

وخلاصة البحث أن الدّين حاجة في نفس شوقي أكثرَ منها في شعره بحيث لا تعدّها ناحية أخرى من النواحي التي طرقها في شعره ، أمّا مجونه فهو مخصوص بقصائد لا تتجاوز الخمس ، وجميعها أنشأها قبل نفيه حين كان على صلة بالقصر ، ومعظمها لإرضاء للخديوي في حفلاته الساهرة التي كان يُقيمها في سراى عابدين .

أمّا ما يُروى عن سلوك شوقي من شربه للخمر بعد هجرها في شعره فهو خبر قابل للصدق والكذب ، والزيادة والنقص فضلاً عن أن كثيراً من المقربين إلى المشاهير

(١) انظر ص ٢١٥ من هذا البحث .

أساءوا إليهم بعد وفاتهم وألصقوا بهم ما هم منه براء
أو بالغوا في مدحهم ووصفهم بما ليس فيهم لذا من
حق الباحث أن يضع علامة استفهام حول ما يقولون أو
يكتبون وألاً يأخذ ذلك على أنه حقيقة مسلمة . ومما
يحمد للشوقي في شعره أمران :

أولهما — أنه نَزَّهَ شعره عن الهجاء ، فلم يتهنَّجُ أحداً
تكريماً لشعره وطيبة لنفسه ^(١) .

وثانيهما — أنه بعد عودته من أوروبا لم يرجع رجوع
المنهزم روحياً فيتهنَّجَم على الإسلام شأن كثير من معاصريه
الذاهبين إلى أوروبا بل عاد وهو معتز بإسلامه ، فخور به ،
حاث للمسلمين على التمسك به ، والنهوض من سباتهم
العميق .

ولعل من الأوفق أن نختم بحثنا بإيراد شهادات بعض
المؤلفين بصدق شوقي في شعره الإسلامي :

« وشوقي شاعر مسلم يخلص لدينه في غير تعصب
ولا جمود » ^(٢) . « العاطفة لا تتأجج في شعر شوقي إلا »

(١) انظر في هذا الصدد كتاب أبي شوقي لابنه حسين ٢٩ وما بعدها
وكتاب المتنبي وشوقي لمباس حسن ٢٨٣ وما بعدها .

(٢) نجيب الكيلاني « شوقي في ركب الخالدين ١١٤ .

في النواحي الوطنية والدينية» (١) «... كان الدين حاجة
في نفسه ، لا راحة له بدونه ، فقلَّ أن تخلو له قصيدة
من تلميحات دينية مختلفة» (٢) .

«كان شوقي شديد الإيمان بالله تعالى وملائكته ورسله
واليوم الآخر والقدر ، ولم تخصص عليه في هذا الباب زلّة
لسان أو عشرة قلم ...» (٣) .

والحمد لله أولاً وأخيراً ، وصلى الله وسلّم على سيدنا
محمد سيد البشر .

(١) عباس حسن في كتاب «المتنبّي وشوقي» ٢٣٢ .

(٢) حنا الفارخوي في «تاريخ الأدب العربي» ٩٩١ .

(٣) أحمد الاسكندري وغيره في «المفصل في تاريخ الأدب العربي»

أهم مراجع البحث^(١)

- ١ - أبي شوقي لحسين شوقي ، مكتبة النهضة المصرية/ القاهرة سنة ١٩٤٧ م .
- ٢ - الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث ، تأليف أنيس الحوري المقدسي ، الطبعة الثانية - بيروت (١٩٦٠ م) .
- ٣ - أحمد شوقي ، تأليف د. ماهر حسن فهمي (أعلام العرب ٨٧) ، دار الكاتب العربي ، أكتوبر ١٩٦٩ م .
- ٤ - أحمد شوقي شاعر الوطنية ، تأليف أحمد زكي عبد الحليم ، المكتبة الناصرية في بيروت ، الطبعة الأولى سنة ١٩٥٨ م .
- ٥ - الأدب العربي المعاصر في مصر ، د. شوقي ضيف ، دار المعارف بمصر سنة ١٩٦١ م ، الطبعة الثانية .

(١) رتبت الكتب حسب حروف الهجاء .

٦ - الإسلام في شعر شوقي ، د. أحمد محمد الحوفي ،
مطابع شركة الإعلانات الشرقية - مصر ١٣٨٢ هـ
(١٩٦٢ م) .

٧ - أندلسيات شوقي ، د. صالح الأشر ، الطبعة
الأولى مطبعة جامعة دمشق سنة ١٣٧٨ هـ ١٩٥٩ م .

٨ - البطل الخالد صلاح الدين والشاعر الخالد أحمد
شوقي ، بقلم محمد إسعاف النشاشيبي ، مطبعة بيت
المقدس - القدس سنة ١٣١٥ هـ - ١٩٣٢ م .

٩ - تاريخ الأدب العربي لأحمد حسن الزيات ،
الطبعة الحادية عشرة مطبعة الرسالة .

١٠ - تاريخ الأدب العربي ، لحنّا الفاخوري ، سنة
سنة ١٩٥١ ، لم تذكر الطبعة والمطبعة .

١١ - تاريخ الأدب العربي ، لنديم عديّ ، الطبعة الثانية
سنة ١٩٥٤ ، نشر مكتبة ربيع بحلب .

١٢ - تاريخ الشعر العربي الحديث ، لأحمد قبّش ،
الطبعة الأولى - دمشق .

١٣ - التجديد في الأدب المصري الحديث ، تأليف
عبد الوهّاب حموده الطبعة الأولى - دار الفكر
العربي .

- ١٤ - تطور الشعر العربي الحديث في مصر (١٩٠٠ - ١٩٥٠) ، تأليف د. ماهر حسن فهمي ، مكتبة نهضة مصر - القاهرة .
- ١٥ - حافظ إبراهيم ، تأليف حسن كامل الصيرفي ، مطبعة القتطف والمقطم سنة ١٩٤٩ م .
- ١٦ - حياة شوقي ، لأحمد محفوظ ، مطبعة مصر / مصر الطبعة الأولى .
- ١٧ - دراسات في الأدب العربي الحديث ومدارسه ، د. محمد عبد المنعم خفاجي - دار الطباعة المحمدية بالأزهر بالقاهرة .
- ١٨ - دول العرب وعظماء الإسلام ، أحمد شوقي ، مطبعة مصر مارس سنة ١٩٣٣ م .
- ١٩ - الرؤوس ، تأليف مارون عبود ، منشورات دار المكشوف بيروت ، الطبعة الأولى سنة ١٩٤٦ م .
- ٢٠ - شاعر العروبة والإسلام أحمد محرم ، لمحمد إبراهيم الجيوشي ، الطبعة الأولى ١٩٦١ - ١٣٨١ - مكتبة دار العروبة - القاهرة .
- ٢١ - الشعراء الثلاثة (شوقي ، مطران ، حافظ) تأليف حسن السّندوبي ، الطبعة الأولى ، مطبعة المكتبة التجارية بمصر ١٣٤١ هـ - ١٩٢٢ م .

- ٢٢ - شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي ، بقلم عباس العقاد ، الطبعة الثالثة ١٩٦٥ م ، مكتبة النهضة المصرية / القاهرة .
- ٢٣ - شعراء الوطنية ، لعبد الرحمن الرافعي ، مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة الأولى - ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٤ م .
- ٢٤ - شوقي تأليف عبد اللطيف شرارة ، دار صادر ، دار بيروت - بيروت ١٩٦٥ م .
- ٢٥ - الشوقيات (ديوان أحمد شوقي) المكتبة التجارية الكبرى بمصر سنة ١٩٧٠ م .
- ٢٦ - شوقي شاعر العصر الحديث ، د. شوقي ضيف الطبعة الثانية دار المعارف بمصر .
- ٢٧ - شوقي : شعره الإسلامي ، د. ماهر حسن فهمي ، دار المعارف بمصر سنة ١٩٥٩ م .
- ٢٨ - شوقي في ركب الخالدين ، بقلم نجيب الكيلاني ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشرة الطبعة الأولى سنة ١٩٦٣ م .
- ٢٩ - شوقي وحافظ ، د. طه حسين ، مطبعة الاعتماد بمصر ، الطبعة الثالثة ١٩٥٥ م .

- ٣٠ - العامل الديني في الشعر المصري الحديث (من ثورة ١٩١٩ - ثورة ١٩٥٢) تأليف د. سعد الدين محمد الجيزاوي ، نشر المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية - نشر الرسائل الجامعية سنة ١٣٨٤ هـ ١٩٦٤ م .
- ٣١ - العربية وشاعرها الأكبر أحمد شوقي ، لإسعاف الناشئ مطبعة المعارف ومكبتها بمصر سنة ١٣٤٦ هـ - ١٩٢٨ م .
- ٣٢ - الغزل عند العرب ، تأليف حسّان أبو رحاب ، الطبعة الأولى مصر - القاهرة - ١٣٦٦ هـ ١٩٤٧ م .
- ٣٣ - فصول في الشعر ونقده ، د. شوقي ضيف ، دار المعارف بمصر سنة ١٩٧١ م .
- ٣٤ - في الأدب الحديث ، تأليف عمر الدسوقي / ج ٢ / الطبعة السابعة مطبعة الرسالة - ١٩٧٠ م .
- ٣٥ - المتنبي وشوقي ، لعبّاس حسن ، دار المعارف . ١٩٦٤ .
- ٣٦ - المسرحية في شعر شوقي ، تأليف محمود حامد شوكت / مطبعة المقتطف والمقطم ١٩٤٧ م .

٣٧ - المفضل في تاريخ الأدب العربي ، تأليف أحمد
الأسكندري وغيره ، الجزء الثاني ، مكتبة الآداب
بالحماميز / المطبعة النموذجية .

٣٨ - وطنية شوقي ، للدكتور أحمد محمد الحوفي ،
مكتبة نهضة مصر ١٣٧٤ هـ ، ١٩٥٥ م .

موقع الدكتور عايض الرادادي
www.alraddadi.me

تطلب منشورات
النادي الأدبي بالرياض من
مكتبة دار العلوم
شارع الستين - الرياض

مطابع الفرزدق التجارية ✆ ٤٧٨٨٥١٠